روايات عبير

الغروب العذب

www.elromancia.com

مرمورية

No. 006

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

روايات عبير

الغروب الغدر

❖ كان على (تمسين) أن تفعل ما بوسعها كى تساعد (جون) - خطيبها - فى الحصول على عقد العمل فى جزيرة فالايسى لصالح الشركة التى يعمل بها.

وهناك قابلت الشخصية الأكثر نفوذاً: (غرانت شابمن)... الرجل الأسطورى الذى هزها فى الأعماق وقلب أفكارها رأساً على عقب ..

شعرت (تمسين) بالحيرة والضياع ولم تعد تعرف ماذا تفعل، إلى أن قررت .. أن تغادر الجزيرة ..

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١,٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١,٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

W.Salama 0101517873

No.006

روايات عبير

الغروب العذب

www.rwayamancia.com

مارغريت واى

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

الفصل الأول

- «إنه منظر جميل، يشبه مناظر أفلام هوليوود الحالمة!».

همس جون فى أذن خطيبته تمسين وهو يقترب منها. ضحكت بارتياح وهى تجيبه:

- «فعلا.. إن ما يحيط بنا رائع كالخيال.. القمر ساحر بين أشجار جوز الهند وهمسات البحر...».

- «لكن يجب أن ننسى البعوض!».

قال جون بواقعية وهو يقتل بعوضة بحركة سريعة فى يده. ثم أمسك بذراع الفتاة واتجها إلى الفندق.

- «إنك أكثر حيلة منى يا حبيبتى.. أظن بأنك تستعملين مسحوقا مضادا للحشرات! أما أنا فلن أدع البعوض يفترسنى! بسرعة إلى الفندق! لا أريد أن أصاب بالملاريا!».

- «إن جزيرة فالايسى لا تقع فى منطقة خطر الملاريا»... أجابت

تمسين بموضوعية.

- «خطر الهواء الأصفر، إذن؟».

- «لا، ياعزيزى جون! لا يوجد هنا أخطار من هذا النوع.. كل ما ستعانى من هذا البعوض ليس إلا احمراراً طفيفاً مزعجاً يظهر على جلدك غداً».

ارتاح جون لكلامها، وهو ينظر إلى وجهها الباسم والمشرق فى ظلمة الليل الحار. ثم فكر بما ينتظره غدا وقال:

- «سأكون صريحاً.. إن موعدى مع غرانت شابمن غداً يسبب لى توتراً كبيراً، ولا أود مجابهته ووجهى ملطخ بإحمرار طفيف كما تقولين!».

- «أنت متوتر؟ لماذا»... سألته بإلحاح متعجبة من انفعاله ثم أضافت: «ألا تظن أن الشركة أرسلتك أنت تحديدا للاهتمام بهذه الصفقة لأنها مقتنعة بمقدرتك؟».

- «بالطبع ياعزيزتى، بالطبع»... أجابها محاولا إخفاء قلقه ثم تابع: «المهمة من اختصاصى، كما أنها ليست أول مرة أقوم برحلة عمل فى جزر المحيط النيوزلندى.. فى الحقيقة ليست المهمة هى ما يقلقنى، بل الرجل!».

بدت الدهشة على وجه تمسين وهى تسأل جون:

- «غرانت شابمن يقلقك؟ ما السبب؟».

لم يكن من عادة جون أن يكون مشغول البال خاصة وأن الشركة تضع فيه كل ثقتها. وتمسين تعرف ذلك جيدا فهى خطيبته وسكرتيرته فى نفس الوقت. صحيح أن هذه المهمة أكثر دقة من غيرها، فعلى جون أن يواجه ليس فقط المؤسسات الخاصة بل السلطات الحكومية أيضا.. حيث لا مجال للفشل!

إن جزيرة فالايسى بحاجة لتأسيس عدة صناعات، وغرانت شابمن مستعد للمجازفة بأموال طائلة لذلك كلف شركة مكهال حيث يعمل جون، القيام بالدراسات التحضيرية التقنية وإعداد الملفات اللازمة. توقفت تمسين قليلا لتستنشق الأريج الناعم الذى يفوح حولها من أزهار الياسمين البيضاء.

- «لماذا يقلقك غرانت شابمن؟»... أعادت السؤال.

- «من المعروف عنه أنه ذو شخصية قوية جدا»... أجابها وكأنه مرغم ثم تابع: «إنه قاس، لكن تصرفاته مستقيمة.. استعلمت عنه بدقة قبل مجيئى.. إنه مزيج خاص من الجنسيات.. كان جده بريطانيا رفيع المستوى من الذين غامروا ببناء امبراطورية صغيرة خاصة بهم فى جزر المحيط الهادىء، جدته فرنسية من طبقة النبلاء وهى لاتزال على قيد الحياة. عندما جاء الجد إلى هنا، كانت جزيرة فالايسى شبه خالية من السكان بسبب الحرب والأمراض، لكنه غامر ونجح».

www.elromancia.com

- «حتى أنه امتلك نصف الجزيرة، كما أظن»... قالت تمسين.

- نعم، لقد جمع ثروته من قصب السكر والأناناس، لكن ابنه، أى والد غرانت، مات غرقا مع زوجته، مما عجل فى القضاء على الجد العجوز، فأصبح غرانت وحده صاحب كل هذه الممتلكات وهو لايزال شابا صغيرا، ثم فى عهد الاستقلال أعاد جزءا من الأملاك إلى سكان الجزيرة الأصليين».

كانت تمسين تعرف كل هذه المعلومات، لكنها سمعتها بهدوء لأنها لاحظت أن التكلم عنها يريح جون. وأكملت قائلة:

- «وكما علمت من الشركة، فإن غرانت شابمن وسع أعماله حتى شملت الملاحة التجارية والسياحية، فهذا الفندق الرائع جزء من أملاكه.. إنه يدل على الرفاهية والذوق الرفيع، نادرا ما شاهدت مثله».

- «حقاً.. وهذه هى النقطة التى تقلقنى، ففرانت شابمن مولع ببلوغ الكمال.. إنه يصر على عدم تشويه الهضاب حيث ستقام ورشة المدينة الصناعية، كما يصر على انسجام مؤسسته هذه مع طريقة العيش المحلية، وهذا شىء صعب للغاية!».

- «بل معقد وعسير».

قالت تسمين وهى تدرك الصعوبة التى تكمن فى مشروع كهذا. فطريقة عيش البولنزيين، أبناء الجزيرة الأصليين، تشبه الأحلام.

يقضون النهار فى السباحة وصيد السمك ثم فى الاسترخاء. وأضافت:

- «إن شابمن متطلب لدرجة المستحيل. فالصناعة والسياحة نادرا ما تتجانسان وخصوصا فى جزيرة تشبه الفردوس كهذه».

- «علينا ياحبيبتى أن نحرص على عدم هدم جمال الطبيعة»... قال جون بحزم وأضاف: «هذا ليس سهلا بالطبع».

- «كيف يتصرف؟».

- «شابمن؟... إنه شخصية أسطورية! أخشى ألا أكون على المستوى المطلوب للتعامل معه بنجاح.. إنه لا يشبه أبدا هؤلاء، الصناعيين الذين يستغلون تعب عمالهم بقسوة لا مبالين، بل بالعكس، فهو يهتم بهم ويراعى ظروفهم.. وإذا لم يعجبه ما سأقترح عليه سيقف ضدى، وهذا طبعا سيثير غضب مكهال.. كما أن هناك شركات أخرى تنافسنا.. إذن علينا أن ننال إعجاب السيد شابمن».

شدت تمسين على يد جون بحرارة وثقة وقالت:

- «ستنجح»

- «إذا تحقق ما تقولين، فإن مسيرة عملى ستنطلق انطلاقة رائعة!.. إن مكهال لم يعدنى طبعا بشىء واضح، فالوعود ليست من عادات شركتنا، لكنه جعلنى استنتج أن هناك مركزا شاغرا فى

الدرجات العليا».

إن الطموح من صفات جون.. وهذه الصفة أقلقت تمسين فى البدء، فهى تختلف عنه فى هذا المجال. إنها تضع كل طاقتها لاتمام عملها على أكل وجه وتلاقى جزاءها بسرعة.. وهكذا أصبحت سكرتيرة جون وبعد فترة قصيرة، وقع الحب بينهما وأعلنا خطبتهما فجون يعرف كيف يعطى كل ظرف فى الحياة حقه.. ففى الشركة، لم يكن أبداً يمزج الحب والعمل، بل كان يكرس كل وقته واهتمامه لشئون مكهال.. أما خارج المكتب، فكان يتصرف كرفيق مثير للاهتمام وخطيب كله حنان وانتباه.

لم يكن جون يبوح لها بأسباب قلقه من قبل، لذلك فقد احتل قلبها الآن شعور جديد وهو يصارحها بانشغال باله فيما يتعلق بمهمته فى الجزيرة، وأدركت كم هو يثق بحبها.. لا مست يده بنعومة وقالت له مؤكدة بصوتها الرقيق:

- «سوف تنجح فى مهمتك هذه».

- «هيا نعود إلى الفندق. أظن أن البعوض سيشن هجوماً جديداً»... قال ضاحكا ثم أضاف: «ما يجب أن أقوله لفرانت شابمن هو أن فردوسه الصغير ليس فى غاية الكمال.. لكن، لا أعرف، قد تنقصنى الجرأة».

توجها إلى الفندق المتلألىء بالأضواء، حيث مجموعة من الناس

تتناول العشاء وترقص بمرح. وأثناء سيرهما بهدوء، أحبت تمسين أن تستكمل معلوماتها، فسألت بفضول:

- «جون، قل لى.. كيف يبدو شابمن؟ هل مظهره كمظهر سائر رجال الأعمال؟».

تردد جون فى الإجابة، وهذا نادرا ما يحصل، ثم انتقى كلماته باتقان وقال:

- «مظهره.. رائع!.. نعم هذه هى الكلمة المناسبة.. إنه طويل، أسمر، أنيق. وراثته الفرنسية واضحة فى عينيه ووجهه.. بنيته رياضية.. إنه ينتقل كبطل أولمبى رغم طول قامته.. أشبهه بالنمر.. نعم.. إن متمال كالنمر وهناك شىء مهم، إنه لا يبالى بآراء الغير تجاهه».

ارتعدت تمسين لسماعها هذا الوصف وقالت:

- «كلامك يوحى بأنه رجل خطير!».

- «كالشيطان! لكنه ذكى بما فيه الكفاية لينتصر ويتغلب على أصعب المواقف. أما بالنسبة للنساء فله سمعة تضاهى أخبار أكبر العشاق فى التاريخ.. لقد تجاوز الثلاثين من العمر ولم يتزوج بعد. وهذا يعنى الكثير».

كانت تمسين تحس بالغيرة كلما سمعت عن رجل عابث فقد كان

www.elromancia.com

جون هكذا أيضا قبل أن يلتقى بها.

- «ولا يبدو أن شابمن كان لطيفا، أليس كذلك؟».

- «معك حق! هذه صفة غريبة عنه».

- «على كل حال لن يلاحظ وجودى»... قالت بتواضع ثم أضافت: «وشعورى بالنفور منه ليس له أهمية».

- «انت مخطئة»... أجاب جون بإعجاب ثم تابع: «سيلاحظك حتما فانت جميلة بما فيه الكفاية لتجذبى نظر الرجال.. ويجب أن أكون حذرا متنبها، يا حبيبتى!».

ضحكت تمسين ضحكة مشرقة توحى بالسعادة، كانا قد وصلا إلى الفندق، فدخلا المطعم. وبينما يتوجهان نحو طاولتهما أدركت تمسين أن الموجودين يتبعونها بنظراتهم. فاشمأزت، كعادتها، ربما أن سبب هذا الانزعاج يعود إلى زمن الطفولة عندما كانت تمسين طويلة ونحيلة، حيث كانت تعتقد أن جمالها ينحصر فى شعرها وعينيها.. وإن قامتها تشكل نقطة ضعف لكنها مطمئنة الآن. فجون طويل أيضا مما يتيح لها ارتداء الأحذية ذات الكعب العالى دون أن تثير السخرية أو النقد.

كانت إضاءة المطعم ناعمة حميمة لكنها بدت لتمسين قوية مزعجة بعد الظلمة فى الخارج. وشعرت بالارتياح عندما قادها جون نحو حلبة الرقص، بعيدا عن الأنظار، لكنها أحست به يتقلص فجأة.

- «ما بك يا عزيزى؟»... سألته.

- «يقول المثل: اذكر الذئب.. لكن الذئب نمر هذه المرة!»... أجابها هامسا وأضاف: «إنه يجلس بالقرب من طاولة إلى اليسار ومعه بعض الأشخاص، لقد شاهدنا.. نعم، إنه يشير لنا بيده.. كونى لطيفة معه ياتمسين.. ساكون بحاجة إلى عون كبير.. إننى متأكد من ذلك!».

اعتراها شعور غريزى وهى تتجه مع جون إلى طاولة غرانت شابمن، بأن نظرات هذا الرجل كانت تلاحقها منذ أن دخلت المطعم، وارتعشت وهى تلاحظ أنه الآن يراقبها بعينيه الخارقتين.

شعرت بأنها تكرهه بشدة، وبأن هناك خطرا كبيرا.. فكرت بالهرب.. لكن كيف وإلى أين؟.. إن خوفها قد يكون دون مبرر.

وقف الجميع لاستقبالها هى وجون.. شعرت بالارتباك والتعثر عندما عرفها جون بغرانت شابمن.. وكادت أن تقع عندما لامست يده يدها، لكنها تمالكت نفسها بسرعة. وتغلبت على تلك المشاعر السخيفة.. إلى طاولة شابمن، كانت تجلس جدته، عجوز قصيرة نحيلة، كلها تجاعيد لكنها تملك الأناقة الرفيعة لدى السيدات الفرنسيات العريقات، وهناك أيضا، تجلس الآنسة ليزهولند، فتاة ذات جمال ساحر، فى حوالى الثلاثين من العمر، شعرها أسود كثيف داكن.. وأخيرا، رجل متقدم فى السن يدعى الكابتن مارش، بريطانى عريق، كله حيوية ورشاقة على الرغم من شيب شعره.

تم التعارف، بشكل تقليدى. كان غرانت شابمن يتكلم بصوت منخفض عميق، بلفظ انكليزى أصيل يتناقض مع لكنته النيوزلندية الكسولة، وكان نظره ينتقل بسرعة أثناء حديثه، من تمسين إلى جون، ومن جون إلى تمسين.. فشعرت أنه يقيس شخصيتها ويحكم عليها بالضعف.. واعتقدت أيضا أن جدته غير معجبة بها. لكن، ولحسن حظها، عندما سألتها العجوز بلهجة مهذبة عن رأيها بجزيرة فالايسى، أزال جوابها الجمود المسيطر على الجو.

- «هل هذه أول زيارة لك لهذه الجزر؟»... سألتها الجدة.

- «نعم، لكننى آمل أن لا تكون الأخيرة»... أجابت بحرارة وتابعت: «فالطبيعة هنا رائعة!».

- «لا تعشقى فالايسى كثيرا، يا آنسة فورسايت»... ابتسمت لها السيدة شابمن وأضافت: «وإلا فلن تستطيعى مغادرتنا. هل عائلتك فى نيوزلندا؟».

- «نعم، وقد أرسلت اليوم رسالة لوالدى.. إنهما يودان معرفة سبب سفرى إلى هنا».

- «هكذا يفعل جميع الأهل»... أجابت العجوز بجفاف.

شىء ما فى لهجة الجدة نبه تمسين إلى أن هذه الملاحظة تخفى نية معينة تجاه غرانت. لكنها لم تنظر إليه خصوصا وأن ليز هولند كانت ترمقه بنظرات ملحة كلها اهتمام.

وجهت ابتسامة إلى الكابتن مارش.. فبادلها بالمثل، ثم أسرع وركز انتباهه على غرانت شابمن شعرت بالغيظ، وظهرت النقمة فى عينيها، مما جعل شابمن يهاجمها قائلا بابتسامة ساخرة:

- «إنك لا تتذوقين هذا الشراب يا آنسة، أليس كذلك؟».

- «على العكس.. إنه شراب لذيذ»... حاولت جاهدة أن تبادله الابتسامة.

- «بدا لى أنك كنت مشمئزة من شىء ما» أجابها مدققا وأضاف: «ربما تعتقدين أننى أفسد سهرتك لحديثى مع خطيبك عن الأعمال والصناعة.. أنا شخصيا لا أخلط أبدا العمل والاستجمام»... ليذهب الى الجحيم.. فكرت تمسين، بأى حق يتصرف بهذه السلطة الوقحة وكأنه يعلم كل شىء ويملك كل الناس؟!.. أسرع جون لإنقاذ الموقف وأجاب بدلا منها:

- «إن تمسين معتادة على سماع نقاش العمل كما الآن.. وهذا لا يزعجها أبدا».

وفجأة تدخلت ليز هولند فى الحديث وقالت بصوت خفيض وكأنه مبحوح:

- «سيد ساندرز، أظن أنك وجدت الحل الأفضل أليس كذلك؟ إنك تدع سكرتيرتك ترافقك فى جميع أسفارك المهنية دون أن يعترض أحد...».

www.elromancia.com

كان المعنى الخفى فى كلامها واضحا للجميع فأسرع جون بالإجابة:

- «أنا وتمسين تقليديان جدا، إن غرفتها فى الطابق الثالث من الفندق وأنا فى الطابق الرابع».

- «آنسة فورسايت هل والداك موافقان على سفرك برفقة السيد ساندرز؟»... سألتها جدة غرانت فجأة.

- «إن والدىّ يضعان كل ثقتهما بنا!».

كانت تمسين تشعر بانزعاج شديد.. إن غرانت شابمن وجدته يتبادلان نظرات غريبة. وبعد لحظة صمت ثقيل، أكملت العجوز كلامها:

- «أنا أيضا، لو كنت مكان والديك لكنت منحتكما ثقتى، لكن يبدو لى أن وضعكما خارج عن اللياقة. أظن ياغرانت أنه من المستحسن أن تحضر الآنسة فورسايت وتمكث عندنا إلى أن تنتهى أنت والسيد ساندرز من مباحثاتكما ودراساتكما».

أصاب تمسين الهلع، حاولت أن تفتح فمها معترضة، لكن نظرة تنبيه من جون جعلتها تصمت مذهولة.

- «كما تريدين يا جدتى العزيزة!»... أتى صوت غرانت مسيطرا وأضاف: «إن المسكن عندنا أفضل بكثير للآنسة من أن تبقى سجينة فى غرفة الفندق. وهذا طبعا، لا يمنعها من عملها. جون.. أرجو أن

تحضرها إلى منزلى صباح غد قبل أن نبدأ جولتنا فى الجزيرة».

ارتاح جون كثيرا لمجرى الحديث وأبدى شكره واحترامه للسيدة شابمن.

شعرت تمسين أنها تقع فى فخ. لقد لاحظت فرحة خطيبها، ربما كان يعتقد أنها ستكون عونا كبيرا له. أما هى فلم تقدر على احتمال فكرة العيش مع شابمن، وكرهت من كل قلبها المفاهيم البالية التى تعتز بها الجدة العجوز.

وعلى ما يبدو فقد أزعج الاقتراح الجديد الآنسة ليزهولند فلم تنطق بحرف لكنها نظرت الى تمسين نظرة مليئة بالغضب.

بدأت الأوركسترا تعزف موسيقى محلية ذات ايقاعات جميلة، نهض غرانت شابمن وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة ليدعو تمسين للرقص. تمالكت نفسها ورافقته مرغمة إلى حلبة الرقص المتلألئة بالأضواء الملونة. بعد الخطوات الأولى المرتبكة من الرقصة، اعترفت لنفسها أنها ترقص مع أمهر راقص عرفته، رأت جون ومعه ليز هولند يلحقان بهما إلى الحلبة.

- «كن مطمئنا»... «قال غرانت وهو يلتفت نحو جون وتابع: «إن ليز تحترم الأشخاص المخطوبين».

أحمر وجه تمسين وأرخت نظرها إلى الأرض فتابع غرانت موجها كلامه إليها:

- «وأنا أيضا احترمهم. إننى أحاول جهدى أن أمنع نفسى عن ضمك إلى.. إنك خارقة الجمال».

- «شكرا»... أجابت بجفاف وهى تكبت غيظها.

- «لكن عليك أن تخفى طباعك السيئة عندما تغضبين هكذا.. إن عينيك تبرقان فى الليل كعينى قطة...».

- «سيد شابمن...».

- «اسمى غرانت! بما أنك ستعيشين فى منزلى، فيجب ترك هذه الشكليات. يعجبنى اسمك.. تمسين!».

رفعت وجهها ونظرت إلى عينيه فرأتهما قاسيتين باردتين كالفولاذ، وعلى شفتيه ابتسامة ازدراء.. وفجأة، تملكها الخوف، وشعرت بالنفور، تلعثمت، لكنها تغلبت على ارتباكها:

- «لو كنت تريد.. باستطاعتى أن لا أبقى.. أعنى أن الاقتراح..».

- «منزلى واسع بما يكفى لأن تعيشى معنا أنا وجدتى... قاطعها ببرود وأضاف: «فأنا لا أريد أن أعارضها بأى شىء نظرا لسنها.. طبعا هناك شرط أساسى، وهو أن لا يزعجها أحد أو يجرح شعورها».

ارتجفت لنبرة صوته القاسية والباردة.. بإمكانه لو أراد أن يرفض مقترحات مكهال.. وهى تعرف أن هناك خمس شركات تنوى الحصول على عقد عمل مع شابمن.. أوه، كم تود أن تصفعه ولو فقط من أجل

أن تدهشه!.. لكن سلامة جون وولاءها المهنى لمكهال جعلاها مستعدة لتحمل كل ما قد يصدر عنه من تلميحات جارحة. فقالت له:

- «فزمت تماما، يا سيد شابمن».

- «حسنا، فأنا أحب جدتى كثيرا»... قال هذا وقد ظهر قليلا من المرح على وجهه مما أكسبه شيئا من الجاذبية، وسألها:

- «هل أنت مندهشة لأننى أحب جدتى؟ أو أنك تعتقدين أننى وحش قاس؟».

- «لا أبدا»... أجابت وقد ازدادت ارتباكا وأضافت: «بل أرى أنك لغز محير».

- «ما تعنيه هو أنك لم تخترقى قناعى الاجتماعى بعد»... صمت قليلا وهو يفكر وأردف: «أليس كذلك؟».

- «وهل لك قناع؟».

- «ومن منا ليس له قناع؟ أنت مثلا، خلف مظهرك المركب بدقة، تتصرفين كتلميذة صغيرة. لكننى لم أقرر بعد أن أعتبرك بسيطة القلب».

- «يا له من حكم! قل بوضوح أننى ساذجة جدا ولننسى النقاش!».

- «حقا؟»... مرت سحابة سوداء فى صوته ثم أكمل: «إذن

فالارتباك الذى أصابك قبل قليل كان مصطنعا».

- «طبعا لا»... أجابت ببرود ثم أكملت: «ليس من عادتى أن أتلعثم لألفت الانتباه. إذا كنت لا تود أن ترى النا ن يرتبكون امامك فعاملهم بلطف».

- «أرى أن للقطة الصغيرة مخالب كبيرة! أنصحك ألا تحاولى استعمالها الآن، ياطفلتى.. لا تنسى أن نتيجة عقد العمل مرتبطة بى! وقد أتأثر بانفعالى، ومن مصلحتك أن تخفى عداوتك وأن تحاولى دائما إظهار الإرادة الطيبة والوجه البشوش لمن تكرهين، فذلك أفضل لخطيبك جون؟».

ارتجفت تمسين ثانية وتساءلت هل هذا تهديد جديد؟ فأجابت دون وعى:

- «أرجوك يا سيد شابمن، إنك تتخيل أشياء لا وجود لها.. أنا آسفة، كيف أكرهك وأنا لا أعرفك كفاية؟».

- «حسنا»... أجابها بهدوء وتابع: «لكننى لست أحمق.. إذا تصرفت كفتاة مطيعة وأسعدت جدتى بتصرفاتك فسأحاول أن أنسى أن هاتين العينين الخضراوين برقتا بشراسة عندما شاهدتانى لأول مرة».

كان الفجر ساحرا بألوانه الزاهية وصوت تغريد العصافير وعبير الأزهار المنعش. لكن تمسين لم تستمتع بكل ذلك لشدة ما كان رأسها مليئا بانطباعات أمس. واستعادت تفاصيل مشاجرتها مع جون بعد

لقائها المحرج مع غرانت.

كان جون قد عاملها بازدراء عندما حاولت أن تفسر له أسباب نفورها من الإقامة فى منزل شابمن فاغتاظ وأجابها بعنف:

- «كفى عن هذه النزوات الفارغة».

لم تجبه، فهدأ قليلا ثم أكمل:

- «أنت لا تحبين رؤية غرانت شابمن. وأنا أيضا حذرتك منه، أوافق معك على أن وقاحته مزعجة. لكن علينا أن نوافقه.. وقبول دعوة السيدة العجوز شىء معقول.. طبعا سنضطر للتضحية بلحظات لقاءاتنا الحميمة، لكنها ليست التضحية العظمى».

بقيت تمسين صامتة لم تكن تستطيع أن تقول لجون إنها لا تشعر بالنفور فقط بل الخوف الحقيقى ايضا فقد يظن بأنها مجنونة.. واعتبر جون صمتها أنها بدأت تقتنع بكلامه، فتشجع متابعا:

- «أنا متأكد من أنك سترتاحين هناك يا حبيبتى. قد تزعجك الجدة قليلا بسردها للذكريات، لكن غرانت شابمن شخصية هامة، وسيعطيك الفرصة لتقابلى أشخاصا من المجتمع الراقى فتتعرفين على طرق عيشهم. أظن أن منزله يضاهى أروع قصور الشاطىء اللازوردى فى فرنسا أو فى أمريكا الجنوبية.

كل هذه المحاولات لم تقنع تمسين واستمرت بالصمت.. لكن جون

www.elromancia.com

هذه المرة فسر سكوتها بأنه عناد عديم الجدوى، فامتلكه الغضب وأوشكا على الشجار، لكن تمسين عانقته وتمنت له ليلة سعيدة، منذ أمس وهى مشغولة الفكر.. هل ستستمر الأمور هكذا بارغامها على الخضوع لما يغيظها؟

ومرت بذهنها من جديد كلمات غرانت وابتسامته الساخرة ونظراته الباردة الوقحة.

استقبلها جون فى المطعم وشعر بالارتياح عندما لاحظ أن عاصفة أمس قد تبددت عن وجهها. وأثناء الفطور استعاد مرحه وحنانه مما دفع تمسين أن تفعل مثله، ولو ظاهريا.

جاء وكيل أملاك عائلة شابمن وتمنى لهما إقامة سعيدة فى الجزيرة، ثم اقترح بلطف واحترام أن يقودهما إلى منزل سيده.

انطلقت بهما السيارة وكان جون ينظر إلى تمسين باهتمام ورضا:

- «كونى مرتاحة يا عزيزتى»... همس لها وتابع: «إن شابمن يهتم بنفسه بترتيب الأمور كما أخبرنا، ألا تلاحظين أن كل شىء على ما يرام؟».

تأثرت بلهجته الحانية وتركت يدها تلامس يده:

- «نعم.. أعذرنى أرجوك، كنت مرهقة يوم أمس».

- «لا بأس. أنا أيضا كنت متعبا. لكن لن يحصل ذلك بعد الآن يا

حبيبتى».

كان الطريق إلى أملاك شابمن مليئا بالمناظر الرائعة التى لم يسبق لتمسين أن شاهدت مثلها فى حياتها. الوقت مبكر، والحرارة خفيفة ومريحة لكن الشمس بدأت تسطع فارتدت تمسين نظارتها السوداء، وشعرت بالارتياح لتسريحة شعرها المربوط بمنديل عريض لاسيما بعد أن فتح السائق النافذة الامامية ليسند ذراعه عليها. وراح يشير باصبعه إلى المناظر الجميلة وهو يغنى ألحانا مرحة. إنه يعرف جميع المواقع بصفته من سكان الجزيرة الأصليين، وكان يبطىء من سرعته بين فترة وأخرى ليلقى سلاما مرحا على المارة، ثم يلتفت نحو المقعد الخلى ويفسر لضيفيه عن هوية كل شخص ولأية عائلة ينتمى، فاستنتجت تمسين أن الجميع فى فالايسى يعرفون بعضهم.

القرى على جانبى الطريق مليئة بالأهالى.. والدجاج والكلاب والبقر والخراف. احست بالارتياح عندما لاحظت ان هؤلاء الفلاحين يبتسمون لها.. من خلال الاغصان، كان البحر الهادىء الساحر يتلألأ بزرقة جميلة، وفجأة انعطف الطريق صعودا نحو الجبل.

- «فى الواقع، هذا المرتفع الشاهق ليس سوى حمم بركانية تجمدت.. أما الجبل الحقيقى فهو بعيد»... أوضح جون لتمسين.

كان الصعود قاسيا.. وعلى أسفح المرتفع امتدت بساتين غنية كانت أوراق شجر الموز العريضة تتلون فوق الطريق لتشكل قوسا أصفر

وأخضر يزداد اخضرارا كلما اشتد الارتفاع حيث توجد الغابات الكثيفة بدأ السائق يغنى ويصفق بيديه، وأخذت تمسين تدعو أن لا تنحرف السيارة..!

وأخيرا خفت كثافة النباتات كانت السيارة قد وصلت للقمة، فارتاحت تمسين عندما أعلن السائق أنهم على وشك بلوغ المنزل، شعر جون أيضا بالاطمئنان بعد أن كان صامتا طوال الطريق الخطر وبدأ يراقب ما حوله باهتمام وحيوية.

مرة أخرى، اجتازوا بساتين الموز لمسافة كيلو مترين تقريبا، ثم ابطأت السيارة أمام أعمدة حجرية تحدد الاتجاه نحو مزارع عائلة شابمن، وصلوا إلى حديقة مؤلفة من أشكال هندسية رائعة الانسجام حيث العشب الطرى الناعم كالمخمل وبعض الاشجار المنتشرة هنا وهناك. وأخيرا وصلوا المنزل.. كان قائما على مرتفع صغير وممتدا بشكل مستطيل منخفض يشرف على جميع التلال ويطل على البحر إطلالة رائعة، مظهره حديث لكنه ينسجم تماما مع الطبيعة حوله.. نباتات جميلة الأزهار وبألوان مختلفة تزين جدرانه.. أما غرانت شابمن فقد كان واقفا فى الشرفة الواسعة ينتظر.

الفصل الثانى

اشتد الحر بعد الظهر، فأدركت تمسين لماذا نصحتها السيدة شابمن أن تبقى فى غرفتها بعد الغداء.. ربما كانت القيلولة التى لا تستغنى عنها السيدة العجوز، ضرورية لها أيضا.

تم كل شىء على ما يرام بعد ان وصلت تمسين وجون الى منزل عائلة شابمن. فقد انشغل جون مع غرانت فى غرفة المكتب لدراسة خرائط الجزيرة. أما تمسين فقادتها الجدة إلى صالونها الخاص وبدأت تتحدث معها بارتياح فى أمور عديدة، إلى أن حان وقت الغداء.

كان الغداء بسيطا وممتعا فى وسط شرفة مطلة على البحر.. تصرفت الجدة بسلطة ونفوذ أما حفيدها فقد أظهر ضيافة مثالية وإن أزعجت تمسين بعض نظراته الملحة.. وانصرف مع جون مباشرة بعد الغداء كى يطلعه على ما حولهما.

ذهبت تمسين إلى غرفتها.. كان أثاثها من الخشب النادر المنحوت بدقة رائعة.. الغرفة بأكملها تدل على البذخ والذوق الرفيع.

تفحصت السقف العالى والجدران الواسعة البيضاء.. أما السرير فله قبة عالية تصل إلى السقف وناموسيتان عريضتان مرفوعتان بأوشمة خضراء.. «أوه.. ما أجمل الاسترخاء فى سرير كهذا!!»... فكرت تمسين وهى تبتسم.

فتحت بابا، فرأت الحمام الخاص بالغرفة.. إنه من الفسيفساء ذات الألوان الجميلة.. رأت ألواح الصابون المعطر وأملاح المغطس.. لاشك بأنها ستستمتع كثيرا فى هذا الحمام.

فتحت بابا آخر يطل على شرفة كلها أزهار ونباتات تضفى على المكان ظلالا جميلة وأريجا منعشا.

أمسكت تمسين بحجر من لون الخشب وشعرت ببرودة ملمسه.

عادت إلى غرفتها وقد أذهلها ما حولها فكل شىء يدل على اهتمام خاص من أصحاب ذوق وثروة. وجدت على رفوف الكتب قرب السرير آخر الأعداد من المجلات النسائية العالمية. فجلست فى مقعد واسع مريح وبدأت تتفحصها.

بدا المنزل خلال عدة ساعات خاليا من السكان لكن مع هبوط الظلام، سمعت تمسين صوت خطوات فى الخارج وباب سيارة يغلق ثم ضحكة رجل.. وفجأة دخلت الجدة غرفة تمسين دون أن تقرع الباب وأخبرتها أن السيد قد عاد ثم تابعت وهى تعبر عن إعجابها بتمسين:

- «أنت رائعة! الشعر فضى، والعينان زمرديتان، والبشرة شفافة.. أنت أميرة كالقمر! يا له من تناقض رائع بينك وبين أمير كالشمس، خطيبك جون»... ارتسمت ابتسامة قاتمة على شفتيها وتابعت كلامها: «هل فاجأتك عباراتى الرومانسية؟ لقد تجاوزت عمر الشباب منذ زمن بعيد يا صغيرتى، لكن ذكرياتى مازالت حية.. أنا أيضا اكتشفت فى شبابى لذة الحب.. لكل عمر ظروفه.. هذه حقيقة بديهية. لا شىء يثبت على حاله حتى الحب.. ومع العمر تخف المآسى وتبتعد عنا الاهواء. اننى اتحدث بكلمات اثقلتها السنين وأنت لا تفهمين أو لا تصدقين.. هيا بنا الى البهو! لن يحضر مدعوون غرباء هذا المساء.. أظن بأنك تفضلين أمسية حميمة هادئة، أليس كذلك؟».

فى الواقع كانت السهرة حميمة هادئة. ولم يكن جون موجودا، فعندما دخلتا البهو، أوضح لها غرانت أن جون ذهب فور انتهائه من استكشاف المنطقة لتحضير ملفات تفصيلية ضرورية.

حاولت تمسين أن تحافظ على رباطة جاشها عند سماعها لهذا الخبر المفاجىء:

- «هذا يعنى أن هناك عملا كثيرا ينتظرنى منذ نهار الغد!».

- «هل يعجبك عملك؟»... سألتها الجدة وهى تدعو حفيدها ليجلسها فى مقعدها المفضل.

- «نعم، عملى يجذبنى تماما»... أجابت تمسين بحماس.

- «وهل كان يجذبك قبل أن تحبى جون؟».

ضحكت تمسين ثم رشفت قليلا فى عصير الأناناس قبل أن تجيب بهدوء تام:

- «نعم، الأمر كذلك».

- «فى أيام شباب جدتى لم يكن مسموحا لآنسات العائلات الراقية أن يعملن؟ تدخل غرانت فى الحديث.

- «لكن المرء يتطور مع الأجيال»... أجابت السيدة شابمن ثم تابعت: «أظن أن الأوضاع أفضل فى هذه الأيام. فعلا فى أيام شبابنا كنا محاطات باهتمام عائلى كبير، لكننا كنا نجهل متطلبات الحياة وقساوتها، كنا نحلم بالحب الكبير.. فى الوقت الحاضر، تتمتع الفتيات بتفكير واقعى.. انهن سعيدات أكثر منا».

فجأة وبلهجة عنيفة، سأل غرانت تمسين:

- «هل تحبذين هذا الرأى؟».

- «لا أستطيع مقارنة عواطفى.. إننى سعيدة، ويكفينى ذلك».

- «يبدو أنك كنت دوما سعيدة»... علقت الجدة بذكاء وأضافت: «حتى فى السنوات العصيبة، أعنى أثناء المراهقة، هل كنت أيضا سعيدة؟».

- «أعتقد ذلك، فكل أسباب الراحة متوافرة لدى منذ الصغر، والداى محبان ومتفهمان.. كنت أحب المدرسة، وكانت لى علاقات وصداقات كثيرة».

برقت عينا السيدة شابمن السوداوان وهى تقول:

- «لديك دون شك نوع خاص من الجاذبية التى يصعب تحديدها، وجمال يلفت رؤوس الجميع. غرانت أيضا يملك هذه الصفة، لكنه يستخدمها عندما يريد ويخفيها عندما يريد، بينما أنت لا تدركين أبعادها».

ابتسمت تمسين، وهى تتساءل أين تكمن بالضبط موهبة غرانت هذه..؟

تدخل غرانت موجها كلامه لجدته:

- «إنك تحرجين تمسين، ها هى تحمر خجلا وبراءة.. من الأفضل يا جدتى العزيزة، أن تحتفظى بتحاليلك وآرائك لنفسك».

أطاعته العجوز ضاحكة، ثم أشارت للخدم بإعداد مائدة العشاء.

كان الطعام شهيا للغاية.. تذوقت تمسين أصنافا عديدة من السمك والأصداف لم تعرفها من قبل. ثم دار الحديث حول أفضل طرق تحضير المأكولات الشهية، فتبين أن غرانت خبير بهذه الأمور أيضا، وربما بفضل بعض النسب الفرنسى الذى مازال موجودا عنده.

www.e-romancia.com

بعد العشاء، عاد الجميع الى الصالة. نظرت الجدة الى الليل فى الخارج ثم قالت لتمسين بحماس ملحوظ:

- «انظرى! لقد خرج صيادو السمك ومعهم قناديلهم إلى البحر.. انظرى، إنه مشهد رائع!».

خرجت تمسين الى الشرفة الواسعة، أنعشها الهواء القادم من البحر، حدقت فى الليل الحالك الذى غاب عنه القمر، وثبتت نظرها على شريط رفيع كخيط أبيض يتحرك بهدوء إلى الأمواج العالية.

- «النساء على صخور الشاطىء، يجمعن الأعشاب البحرية والأصداف»... أتى صوت غرانت قريبا من أذنها، ثم أكمل تفسيره: «أما الأضواء المتلألئة بعيدا فى البحر فإنها لصيادين يستخدمون الصنارة والشبكة».

- «هل يوجد الكثير من السمك للصيد؟».

أدركت تمسين بعد أن سألته، مدى غباء كلامها ولم تعرف ما تقول لشدة ارتباكها بحضور غرانت الذى كاد أن يلامسها.

- «الأسماك هنا متوافرة بغزارة، أبناء الجزيرة يفضلون البونيت وقد ابتكروا مراكب خاصة لصيده. أما السياح فيصطادون المارو والأسماك الطائرة. فى الجهة الأخرى للجزيرة يوجد مصنع لتعليب التونة يديره اليابانيون، ونتوقع اسناد إدارة المصنع لأبناء الجزيرة فى

وقت قريب.

أخذت تمسين تتأمل أضواء مراكب الصيادين المتنقلة بهدوء، وهى تصغى إلى صوت الموج على الصخور وغناء ناعم صاعد من القرية فى الجهة السفلى.. روائح ندية تغلغلت إلى أعماقها فأحست فجأة بسعادة جديدة تغمرها، وحسمت بهدوء:

- «يا للروعة! ألم يظن الأوربيون أنهم فى الجنة عندما اكتشفوا تلك الجزر...؟».

- «لكنهم بذلوا جهدهم لإفسادها»... أجابها غرانت وهو يقف وراءها وأكمل: «الأغلبية بنوا ثرواتهم عن طريق استغلال هبات الطبيعة دون مراعاة أهالى الجزر.. لكن البوليزينيين حذرون تجاه المشاريع التى يقترحها عليهم الغرباء».

- «لذلك قمت أنت بإحياء مشروع مصنع تعليب التونة».

- «نعم، إن الأهالى لا يطلبون أكثر مما تعطيهم الطبيعة. لكن يجب تغيير الوضع. والبعض منهم بدأ يدرك وجوب الحصول على فوائد ومنافع جديدة. تكمن الصعوبة فى المقدرة على الحفاظ على طريقة عيشهم كما هى.. يجب أن ندرس المشاريع السياحية الحديثة بدقة».

وافقت تمسين على أقواله فتابع بإصرار:

- «فى جميع الأحوال، التغيير ضرورى!».

- «إنك على صواب»... أيدته موافقة.

لاحظت كم يزداد صوته عمقا ونعومة كلما نسى التحدث بلهجة استخفافية لاذعة.

- «أبناء تلك الجزر، كم يعرفون أشياء نسيناها منذ زمن؟!»... قالت كالحالمة.

- «يمكن تفسير الوضع كالتالى: علينا أن نجعلهم يعيشون حسب معطيات القرن العشرين والمحافظة على تراثهم الأصيل».

- «يا له من رهان!».

- «دون شك.. لكن من عادتى ان أربح الرهان!.. هل تشعرين بالبرد؟».

- «لا»... أجابت ضاحكة وتابعت: «الحرفى نيوزلندا أخف من هنا وليالينا أكثر برودة حتى فى فصل الصيف. كان البرد قد بدأ عندما سافرنا إلى هنا».

- «هذا ما أخبرنى به جون».

فجأة، احتلت صورة جون قلب الليل الساحر. فشعرت تمسين بالخجل لكونها هنا فى الظلام برفقة غرانت شابمن. استدارت لتدخل الصالة، لكنه أوقفها ممسكا بذراعها ومشيرا إلى الصيادين:

- «انظرى.. إنهم عائدون إلى اليابسة! بعد لحظات ستسمعينهم ينشدون ألحانا ساحرة».

بدأت الأضواء تتقارب وتتجمع باتجاه الشاطىء. حبست تمسين نفسها وهى تترقب سماع النغمات الأولى.. انطلق الغناء ناعما وبدأ يتصاعد بايقاع متناغم.

انطفأت الأضواء، وتعالت الضحكات والأصوات المرحة، ثم ساد السكون تدريجيا ولم يبق الا ايقاع الامواج على الصخور.

شعرت تمسين بأحاسيس غريبة وكأن كل خلية فى كيانها ترتعش بالحياة.

- «هل يفعلون هذا كل ليلة؟»... سألت مسحورة.

- «كل ليلة، نعم... تعالى.. هيا ندخل فقد يبلل الندى، وربما يخطر لجدتى بأنك قاومت رغبتى فى أن أضمك إلى».

كادت أن تفقد توازنها عندما سمعت هذه الكلمات، لكنها تمالكت نفسها وضحكت قائلة وهى تتجه إلى باب الصالة:

- «أنت مخطىء بحق جدتك، فهى متأكدة من أننى أفهم الحياة بما فيه الكفاية!».

- «كونها فرنسية يجعلها تنظر إلى العلاقات العاطفية بواقعية مدهشة، ولهذا أنت هنا، يا آنستى العزيزة فجدتى لا تثق بخطيبك

www.elromancia.com

جون أبدا».

وقفت تمسين مكانها من شدة الغيظ وقالت بصوت قاس:

- «حقا؟ أما بالنسبة لك، فكلها ثقة مطلقة، أليس كذلك؟».

- «بالعكس! لكنها بدعوتها لك للإقامة هنا تبعدك عن جميع الأخطار! فهى تعرف أنه لا يجوز للمضيف أن ينال من ضيفه، ألم تفهمى ذلك؟.. حقا إن ذكاء جدتى مدهش!».

- «أنت رجل سخيف وأنا أبغضك!».

- «حقا؟»... أجابها بسخرية، وتابع: «هذا ما حاولت قوله لى الليلة الماضية على ما أظن!».

وعلى الفور، فكرت تمسين بجون، وأرادت أن تعوض عن تصرفها المسىء بكلمات مرضية، لكن غرانت سبقها قائلا:

- «لا تحاولى الاعتذار! اننى افضل الصراحة التامة على التصرف الملتوى! وبما أنك نسيت ما قلته لك أمس فلا تندمى الآن! أنا رجل أعمال وليس من عادتى السماح لعواطفى الشخصية أن تؤثر على أحكامى العملية».

- «إذن.. لماذا؟».

- «لقد أزعجتنى معارضتك لى.. أنت ظاهريا فتاة لطيفة ومطيعة،

أما باطنيا فانت مستعدة للهجوم! لكنك لست مستعدة على مخاصمة اشخاص مثلى، أليس كذلك؟ قد يأتى يوم وتكونى شاكرة لى!».

أثارت كلماته الحيرة والتساؤل لديها.. رافقها بسرعة مفاجئة حتى باب غرفتها ثم ذهب.

خلعت ثيابها وهى تستعيد ذهنيا حوارها مع غرانت وجاذبيته الساحرة التى جعلتها تنسى عداءها له. ثم تساءلت عن حقيقة السبب الذى دفع الجدة لدعوتها إلى الإقامة عندهم.. فإذا كان ما قاله غرانت صحيحا بخصوص أن الجدة تريد أن تضعها تحت حمايتها، فهذا يعنى ان غرانت شاب عابث خطر، وأنه سيحاول إغراءها لو أراد.. لكن لا، فهناك ليز هولند الفاتنة التى لا يمكن لأحد أن ينساها والتى تحتل دون شك مرتبة عالية فى قلب غرانت.

انزعجت تمسين من هذه الأفكار وخصوصا تخيلها لتلك الفتاة فى حياة شابمن فحاولت طردها من ذهنها. وشجعت نفسها بأن إقامتها عند عائلة شابمن ستنتهى بعد أسبوعين أو ثلاثة، وعليها أن لا تعير غرانت اهتماما خاصا وسيكون كل شىء على ما يرام.

سوف ينجح جون فى مباحثاته مع الحكومة ويفوز بالمشروع لشركة مكهال، عندها ستغادر فالايسى مع جون وتنسى غرانت شابمن إلى الأبد.. هذا القرصان الوسيم الذى يحرك فيها أحاسيس غريبة.

لسوء الحظ لم يكن جون على ذلك المستوى من التفاؤل كما بدالها

www.elromancia.com

فى صباح اليوم التالى وهما يتنزهان فى الحديقة. أعلمها بصوت كئيب أن مباحثات العمل قد تستغرق وقتا طويلا وأضاف:

- «إن شابمن يتوقف عند أصغر التفاصيل ويبدو مسيطرا تماما على كل الإدارات. رجال الحكومة أنفسهم لا يجرؤون على تحمل المسؤولية، ولديهم جواب واحد على جميع الأسئلة: يجب التشاور مع السيد شابمن».

- «إنهم يتصرفون بحذر حكيم»... أجابت تمسين بهدوء وتابعت: «بالنسبة لهم، فإن تحقيق هذا المشروع يتطلب اجتياز عقبات كبيرة وأقل هفوة قد تحدث أزمة اجتماعية خطيرة بين الأهالى».

- «إننى لا أفهمك؟ أية جهة تؤيدين؟ هل ناقشت الموضوع مع شابمن؟».

- «ليس تماما».

- «قولى لى، ماذا قال لك بالتحديد؟».

أخبرته تمسين بكل شىء فقال لها:

- «إن هذا لا يعطينى ضوءا جديدا.. على أن أكمل المعركة وحدى على ما يبدو! لا بأس. هل أنت بخير يا حبيبتى؟».

- «نعم».

- «حسنا، سأذهب الآن.. أراك فى المساء».

مرت ساعات ما قبل الظهر بسرعة.. وقد قضتها تمسين فى العمل.. رتبت أوراق جون وطبعت على الآلة عدة رسائل وتقارير ودراسات، ثم توجهت نحو مدخل المنزل تبحث عن إمكانية وضعها فى البريد. سمعت فجأة صوت غرانت العميق وهو يقترب منها:

- «رسائلك هذه، يمكن إرسالها مع بريدى. هل لديك طوابع؟».

- «آسفة، لا».

- «إذن تعالى إلى مكتبى، سأعطيك طوابع».

كان المكتب واسعا مريحا، فيه مكتبة كبيرة تطل على قاعة أخرى يصدر منها صوت ضرب على الآلة الكاتبة.

رن غرانت الجرس، فحضر من القاعة المجاورة رجل متوسط العمر، يدعى ستيفن تولن. ألقى السلام على تمسين باحترام لبق، ووعدها بأن يرسل بريدها فى المساء عندما يذهب إلى المدينة، وأضاف:

- «سأشترى لك الطوابع أيضا. أرجو أن لا تترددى باحضار كل ما تريدين إرساله كلما احتجت لذلك».

أعطته تمسين الرسائل شاكرة، وتركت غرانت يرافقها إلى الخارج.

www.elromancia.com

- «هل انتهى العمل لهذا اليوم؟»... سألها بفتور.

- «لم يبق إلا القليل».

- «إذن، ما رأيك أن تسبحى قليلا؟ الحر هنا يجعلنا نمضى ساعات فى الماء. سألقاك فى الشرفة بعد دقائق».

كان الطريق المؤدى إلى حوض السباحة يفوح بشذى ساحر وسط الأشجار وأغصان الياسمين الأبيض والأحمر، مما جعل تمسين تقول بإعجاب كبير:

- «يا لها من روعة! لو كانت والدتى هنا لجنت من الفرح! إن هوايتها العظمى هى الأزهار والنباتات! هذا الياسمين فى غاية الجمال.. فى هذا الفصل من السنة يجف ويموت عندنا».

- «أما هنا فى فالايسى، فيزهر على مدار السنة! فى القارة النيوزلندية كلها، أفضل ياسمين منطقة أوكلند».

- «هل تسافر كثيرا إلى هناك؟».

- «نعم، فعندى أعمال وأصدقاء أيضا.. حدثينى عن عائلتك؟».

- «اضافة إلى والدى لى أخت صغرى، تدعى سارة، عمرها عشر سنوات. شعرها كثيف مائل للإحمرار وعيناها خضراوان كجميع أفراد العائلة».

لم تكمل كلامها عن عائلتها، فقد خافت إزعاج غرانت بتفاصيل قد لا تعنى له شيئا. اقترب منها ولمس شعرها بأصابعه قائلا:

- «أما شعرك أنت فبديع للغاية.. كأنه تاج من الذهب الخالص.. لماذا تبقينه قصيرا؟»... ارتبكت تمسين محاولة دون جدوى إخفاء تأثرها، ثم قالت بتعثر:

- «لو كان شعرى أكثر طولا، لصعب على تسريحه.. إنها مشكلة الشعر الـ ...».

- «لكن نوعيته التى أحسها باللمس تعوضنى عن كل شىء! لاشك أن خطيبك جون قد قال لك ذلك سابقا..».

جعلتها لهجته الساخرة تعض على شفتها لئلا تصرخ فى وجهه.. ولحسن الحظ كانا قد وصلا أمام حوض السباحة مما وفر الكلام عليها فقد جذبها المنظر.

فالمشهد فى غاية الروعة.. فى طرف من الحوض نبع ماء عذب يعكس ألوان قوس قزح.. والحوض نقى كالمرآة.. تتدلى عليه أغصان تحمل أزهارا زرقاء وذهبية. وفى الطرف الآخر، حيث الظل، هناك مقاعد وطاولات.. وأمام تمسين يرتفع هيكل صغير ناصع البياض كهياكل اليونانيين القدامى».

ابتسم غرانت مفسرا:

www.elromancia.com

- «هذا المبنى اليونانى هو نزوة فى آل شابمن فجدى مَنْ طلب بناءه!».

- «إنه مدهش كما فى الأساطير القديمة!».

- «تقولين هذا لأنك لم تعتدى بعد على الترف الخاص!».

أغاظتها لهجته اللامبالية، لكنها فضلت الصمت والتروى.

بدلت ثيابها فى غرفة خشبية وارتدت ملابس السباحة. نظرت إلى شكلها فى المرآة وتساءلت عن إمكانية الظهور دون ارتباك أمام غرانت فى لباس من لون جلدها..! لامت نفسها لإعطاء غرانت تلك الأهمية، وتذكرت كم من المرات ارتدت هذا اللباس على شواطىء نيوزيلندا بارتياح تام.

ودفعتها رغبة فى المغامرة بالتخلى عن شكل من أشكال الدفاع، فخلعت خاتم الخطبة ووضعته فى حقيبة يدها. ثم خرجت وقفزت مباشرة فى الماء وأخذت تسبح بحيوية نحو النبع المتلون.

أضفى ماء النبع مزيدا من الحيوية على تمسين فاستمتعت بقطراته الغزيرة وهى تراقب شابمن يجتاز الحوض برشاقة وكأنه بطل أولمبى. لكنه لم يقترب منها، بل ظل يسبح ذهابا وإيابا راغبا فى إكمال تمرينه الرياضى دون أن يزعجه أحد. فارتاحت تمسين لهذا وأكملت استحمامها بماء النبع الساحر.

عندما اقترب منها غرانت، رجعت إلى الوراء، كأنها خائفة.. من ماذا؟ من جاذبيته فى لباس السباحة؟ كان يبدو أكثر طولا، أسمر البشرة، مرتاحا فى تصرفه. كانت ترى تحرك عضلاته من خلال ماء الحوض أمسك بيدها قائلا:

- «من المستحسن أن تنهى استحمامك ، الشمس هنا ساخنة جدا، قد لا تتحملينها طويلا.. فأنت لست معتادة على هذا الطقس».

وافقته بإيماءة من رأسها لكنها لم تتمكن من لفظ كلمة واحدة، وتحركت للخروج من الماء.. أوقفها غرانت وعيناه تبرقان كاللهيب ثم عانقها بقوة.

شعور جديد، كأنه صدمة عنيفة، احتل كيانها كما لو أن الحوض والنبع والأرض بأكملها غابت عن الوجود فجأة.. تجمدت وأحست بجسمها يتلاشى حتى الذوبان.

عندما توقف غرانت عن عناقها، نظرت إليه من أعماق عينيها الخضراوين، فقال لها:

- «لن أحاول تبرير ما فعلت. أنت ساحرة وهذا يبرر كل شىء».

وتأكيدا لصحة كلامه، كانت ليزهولند مدعوة إلى الغداء ظهرت فى أوج جمالها، وتصرفت بحرارة ومودة تجاه غرانت.. أما تمسين، فقد حاولت أن تتصرف بشكل طبيعى لإفهام غرانت أن تصرفه أثناء السباحة لم يترك بها أى تأثير.

وبعد الغداء مباشرة، غادر غرانت المنزل برفقة ليز للانضمام إلى أصدقاء لهما على شاطىء البحر.

ذهبت تمسين إلى غرفتها وهى تشعر بحاجة للوحدة والتفكير بما حدث لها خلال هذا النهار الغريب.

حاولت إقناع نفسها أن كل ما جرى ليس إلا مجرد إعجاب رجل بامرأة.. لقد عانقها ليعبر لها عن ذلك الشعور.. وبالطبع لم يكن فى تصرفه أى أثر للحب.. انساقت وراء أحاسيسها، وقد أخذت تفكر أنها اكتشفت فى ذاتها ميولا كانت تجهلها من قبل.. عرفت مثلا، أن هناك شعورا قد يجذب امرأة نحو رجل.. وتساءلت: هل هذا الشعور يشكل مشكلة خطيرة.. إن علاقتها بجون أعمق بكثير من أى انجذاب عابر فهى مبنية على الاحترام المتبادل والذكريات المشتركة والثقة المتينة.

هل يجب عليها أن تحدث جون بكل هذا؟ بدأت تشعر بالقلق. لو أخفت عنه ما حدث، تضفى على الموضوع أهمية لا مبرر لها، لكنها توفر عليه مزيدا من انشغال البال. وإذا ما أخبرته بما حدث فقد ينزعج كثيرا ويطلب منها العودة إلى الفندق. وهذا، ما قد يوتر علاقات العمل مع غرانت.

نظرت بعيدا.. وأخذت القرار.. إنها ولأول مرة، ستخفى عن جون أمرا يهمها ويهمه.. ستنتظر عودتهما إلى نيوزلندا وتخبره بكل شىء. ولن يؤنبها ضميرها كهذا.

الفصل الثالث

فى ذلك المساء.. كانت تمسين على وشك البوح لخطيبها بكل شىء أثناء حديثهما على الشرفة الواسعة. كان غرانت يعانق ليز هولند على انغام موسيقى حالمة. بينما كانت الجدة تتحدث مع ضيفين فى مثل عمرها دعتهما للعشاء.

فى بداية السهرة، أبدى جون الكثير من المرح، لكنه عندما انفرد بتمسين، أصبح كئيبا، تائه النظرات وكأنه ضائع.

- «هل أنت متعب؟»... سألته تمسين بنعومة.

- «إننى حائر نوعا ما.. ينتظرك غدا المزيد من العمل. لقد أمضيت النهار متنقلا من مكتب لآخر ومن مؤسسة إلى أخرى.. المعلومات الوحيدة التى حصلت عليها، أوضحت لى أن منافسنا الأكبر فى هذا المشروع هو الشركة الأوسترالية سميث آند سانز».

- «لقد سمعت بشىء كهذا».

- «إنها أقوى من شركة مكهال بكثير.. وحسب ما علمت فإن هذه

www.elromancia.com

الشركة الضخمة يمكنها الحصول على العقد بسهولة.. اعترف لك يا عزيزتى، أنه لم يسبق لى أن واجهت مشروعا أصعب من هذا.. مكهال يعتمد على كل الاعتماد.. يجب أن أنجح..».

- لكن.. جون..».

- «انجاح الصفقة هو كل ما أريد.. لو أعرف إلى أية جهة يميل شابمن..»... التفت إليه ورمقه بنظرة غاضبة، ثم أضاف: «انظرى كيف يبتسم لليز هولند وكأنه غير مبال بالعالم أجمع.. إننى أكرهه..».

لم تتدم تمسين لإخفائها تصرف غرانت فى حوض السباحة.. وقالت بهدوء:

- «إنك تشغل تفكيرك، وتوتر أعصابك أكثر مما يجب.. وهذا ليس من عادتك»

- «اهتمى بأمور شابمن، وكونى لطيفة معه، فهو يعرف كيف يخفى نواياه».

سكت جون لحظة ثم بدت نظرة قاسية على وجهه وكأنه يأخذ قرارا صارما.

ارتفع صوت ليز هولند مرحا جذابا وطغى على الصمت الذى تبع نهاية أسطوانة الموسيقى. التفت جون فوق البحر وهو مستغرق فى التفكير العميق وكل سماته تعبر عن القلق:

- «سأطلب غدا مجىء اختصاصى بعلم الاجتماع والثقافات التراثية: اختصاصى بالثقافة البولنزية. هذا هو الحل الحقيقى».

أدركت تمسين أن جون قد وجد الإمكانية التى قد تسهل لهما العمل وتساعدهما على التفوق على جميع المنافسين.. لم يخطىء مكهال باختياره لجون وإرساله إلى هنا.

- «يجب رسم خطة عمل محكمة»... أكمل جون كلامه وكأنه يحاور نفسه: «اختصاصى الثقافات التراثية ينصحنا كيف نخفف من أضرار التدخل الصناعى المفاجىء على أبناء الجزيرة!.. لحسن الحظ أننا مازلنا فى مرحلة الدراسة التحضيرية.. أمامنا أسابيع قبل البدء بالتنفيذ.. حسنا، يبقى على معرفة موقف الحكومة.. وقد علمت أن الفريق التقنى متفوق.. غدا صباحا سأجتمع ببقية الفرق، ونضع خطة عمل. سأرسل لك سيارة تنقلك إلى الفندق.. شقتى هناك واسعة وتكفى للاجتماع».

جرى كل شىء على ما يرام.. مهندسو شركة مكهال عبروا عن تفاؤلهم فى العمل، كما أن مدير مصلحة التخطيط قام بتقدم ملموس فى المرحلة التحضيرية للمشروع.. قبل الجميع اقتراحات جون وحبذوا بحماس فكرته باستدعاء خبير يفهم عقلية أهالى الجزيرة.

- «لقد أصبت الهدف»... قالت تمسين بعد الانتهاء من الاجتماع.

- «أؤكد لك أن اهتمام غرانت بأمور الأهالى مخلص جدا، فهو

يفهم ويعطف عليهم».

- «هذا ما يشكل أقوى ورقة بين يدى. يمكنك التدخل بقوة وفعالية يا حبيبتى.. اصغى جيدا لأقوال شابمن، واطرحى عليه عدة أسئلة حول الجزيرة وأهاليها، وحاولى لى معرفة وجهة نظره الحقيقية، ولا ترفضى دعوة تنزه فى المنطقة، لكن ابقى حذرة فهو صاحب حنكة وذكاء. اظهرى تجاهه اهتماما عاديا.. احفظى اجوبته ونبرة صوته بالنسبة لأى موضوع.. النساء قويات الذكاء ويعرفن أسرارا فى هذا المجال...».

شعرت تمسين بالاشمئزاز من هذا الاقتراح، وخافت من المهمة المسندة إليها، فهى تعرف تماما مدى الخطر الذى يترصدها مع غرانت شابمن.

أخطأ جون فى فهم الاضطراب المرسوم على وجهها وأصر قائلا:

- «لا يوجد خداع فى هذه المهمة يا حبيبتى.. أعرف عدم إعجابك بشابمن، لكنه الملك فى لعبة الشطرنج هذه.. لا تحاولى التقرب منه أكثر من اللازم، لكن اقبلى صفاته كما هى.. باستطاعتك مساعدتى أكثر مما تظنين لأنك تحتلين المركز الفعال».

أحست تمسين بذنبها تجاه خطيبها وأن عليها اطلاعه بما حدث كى يكف عن حثها فى التقرب من غرانت، أجبرت نفسها على السكوت وفكرت أن القيام بالمهمة الخطرة يخفف من ذنبها ويرضى جون نهائيا.

- «إننى موافقة.. لكن شابمن رجل جذاب، ألا تخشى أن أهتم به أكثر مما يجب؟».

- «أنا مستعد للمخاطرة»... ضحك وهو يعانقها بنعومة وتابع: «حتى لو حدث ما تقولين، فأنا أؤكد لك أننى سأمحو هذا الرجل من ذهنك كليا فور مغادرتنا هذه الجزيرة».

لكن غرانت لم يكن يؤثر على ذهن تمسين فقط، بل كانت جاذبيته تصل الى اعماقها، لقد فهمت منذ البداية أنه يشكل خطرا كبيرا عليها.. وقد جرت الأحداث الآن وكأن جون نفسه يدفع خطيبته إلى تجارب مخيفة وجديدة بالنسبة لها.. لم ينتظر منها جوابا وأضاف:

- «إذن، فأنت موافقة! حسنا... لكن احترسى، إياك أن تبوحى لأحد بسر أخصائى التراث المحلى.. منافسنا الاوسترالى يراقب جميع خطواتى.. سأعلن أن هذا الأخصائى فى الفريق الإدارى الذى لحق بى إلى هنا».

انشغلت تمسين بعد الظهر فى الطباعة على الآلة الكاتبة. وقد ارتكبت عدة أغلاط لشدة إرهاقها النفسى، فقررت التوقف عن العمل والتنزه قليلا على شاطىء البحر. ارتدت قبعة ونظارة سوداء، ثم خرجت من المنزل بحذر شديد فأهل البيت فى قيلولة.. إنها على أى حال لا تريد أن ينتبه أحد إلى حالتها التعيسة هذه.

سارت فى الطريق المؤدى إلى الشاطىء. وبعد لحظات أصبحت

وسط بستان موز. سمعت فجأة صوت حوافر على العشب استدارت فرات غرانت شابمن على حصان رمادى يتجه نحوها. أحست بالخوف يحتل قلبها، لكنها ابتسمت لا مبالية عندما اقترب منها.

- «يا له من لقاء سعيد تحت أشعة الشمس الساطعة!»... صاح غرانت كأنه بطل رواية تاريخية ثم سألها: «هل تجيدين ركوب الخيل؟».

- «نعم».

- «يوجد فى الاسطبل فرس تناسبك.. الا تريدين تجريبها؟».

ترددت قليلا، ثم قبلت الاقتراح. فمد يده يساعدها بالجلوس أمامه وهو يقول:

- «حسنا، هيا بنا!».

لحسن الحظ أنها كانت ترتدى بنطالا. ولكن هل سترفض لو أنها كانت ترتدى تنورة؟ فرحت كثيرا لامتطائها الحصان، لكن قربها من غرانت يقلقها. أحست بقوة ذراعيه حولها فتسارعت نبضات قلبها.

- «كيف الحال؟»... سألها بشىء من السخرية.

- «مر وقت طويل ولم أركب حصانا، لكن لا بأس الآن».

- «تجيدين ركوب الخيل؟».

- «كنت خيالة ممتازة، لكننى لم أتمرن منذ وقت طويل».

تذكرت تلك الأوقات الهادئة وأحست بالسعادة تغمرها. أكملت حديثها وهى تبتسم:

- «تعلمت ركوب الخيل فى مزرعة يملكها ابن عمى، كنت فى الثانية من عمرى عندما وضعت على ظهر فرس وتركت! ظنت أمى يومها أننى سأقتل، لكننى نجوت. بعد هذه التجربة قادنى ابن عمى إلى عدة أماكن.. إلى الوديان والتلال.. كان على أن أتمسك جيدا».

- «يبدو أن لك الكثير من أبناء العم».

- «لى العديد لأن أهلى ينحدرون من أسر عديدة».

كان غرانت ممسكا باللجام فى إحدى يديه، أزاح بيده الأخرى خصلة من شعرها الذهبى وقال:

- «وأنت الفتاة المفضلة على ما أظن؟».

- «لا أعرف.. لكن أعلم أننى قضيت أياما سعيدة فى طفولتى».

لماذا كان قلبها ينبض بقوة؟ لماذا وجدت صعوبة فى التعبير؟ ماذا حدث لها كى توافق على الركوب أمامه؟

- «حسب رأى علماء النفس.. فقد توافرت لك كل وسائل النجاح فى حياتك»... قال غرانت بلهجة تهكمية ثم أضاف: «تمسين السعيدة! وأنت اليوم مخطوبة لشاب له مستقبل مشرق.. لديك الآن كل الأسباب كى تبقى سعيدة».

www.elromancia.com

- «نعم»... أجابته تمسين بكل تحد. كانت تكره جاذبيته القوية.

- «أتحبينه كثيرا؟».

- «نعم، كثيرا»... أجابت برباطة جاش.

لحسن الحظ أن غرانت لم يشاهد إحمرار وجنتيها، أضاف بسخرية:

- «وتساعدينه جيدا؟».

- «أود ذلك».

- «بالطبع.. إنه محظوظ ومن خلال الاشجار شاهدت الأسطبل.. وهو بناء منخفض بين ظلال شجرتين كبيرتين.. أمسك غرانت بها ليساعدها فى النزول عن ظهر الحصان، ثم ربطه حول وتد. وأدخل تمسين إلى الأسطبل.

فى الحقيقة، كانت الفرس قوية ومتوحشة.. وهذا ما قد يلائم قوة تمسين مع أنها تبدو نحيلة رغم طولها.. وأسرعت فى امتطاء الفرس قبل أن يقدم لها غرانت مساعدته.

سارا إلى طريق فرعى يتجه نحو الهضاب. كان الطقس حرا، ثم تغير قليلا إلى أن اختفت الحرارة وسط برودة الأدغال وانخفاض الضوء.

تكيفت مع الفرس، فقد كانت سلسة فى المشى وجميلة المنظر، أما حصان غرانت فقد كان رائعا.. لم تكن تتصوره يملك شيئا ذا قيمة

زهيدة إنه من النوع الذى يتطلب الأفضل له ولمن يعرف من الناس.. فى هذه اللحظة أحست تمسين بقشعريرة تهزها.

بعد نصف ساعة وصلا إلى هضبة منبسطة حيث العشب قصير وقاس. ابتسم غرانت للدهشة التى أصابت تمسين.. وانطلق بحصانه فجأة.

داعب النسيم شعر تمسين الذى بدا كخيطان من الذهب، وامتلكها شعور بالحرية بينما ارتسمت على شفتيها ابتسامة فرحة، وأحمرت وجنتاها.

لحقت بغرانت وأوقفت فرسها قائلة وهى تداعب عنقها:

- «يا للاحساس الرائع».

- «تجيدين ركوب الخيل»... قال غرانت ثم تابع: «سآمر الخدم بوضع هذه الفرس تحت تصرفك. لا تذهبى وحدك لأنك لا تعرفين المنطقة.. إذا لم أكن فى المنزل اطلبى سولو، فهو دائما قرب المنزل.. وإذا لم يكن فى الاسطبل، ناديه فيحضر للتو.. والآن، انظرى».

كان المنظر رائعا.. امتدت المزروعات تحت أقدامهم وكأنها قطعة قماش متعددة الألوان.. وميزت تمسين أشجار الموز وجوز الهند والأناناس وأزهارا وردية تبرق تحت أشعة الشمس، ثم أشارت بأصبعها وسألت:

- «ماذا ينبت هناك؟».

- «أوركيد يا فاندا، لقد اكتشفت إحدى القرويات هذا النوع من الزهور فى جزر الهاواى، فتعلمت زراعتها، وأتت بها إلى هنا.. ثم انتشرت بين النساء تجارة هذه النبتة فى اوستراليا ونيوزيلندا، وأصبحت هذه التجارة مزدهرة ومربحة».

- «لماذا تشغل تفكيرك بمصير سكان هذه الجزيرة، فهم ماهرون فى التجارة؟».

- «هذا صحيح. إنهم أذكياء فعلا لكنهم غير قادرين على المنافسة.. إننى اهتم بمصالحهم فى الخارج.. يلزمهم بعض الوقت ليتخلوا عن طريقة معيشتهم لأن روابطهم العائلية تبقى قوية».

- «من المؤسف أن تضيع طرق معيشتهم».

ذكرها هذا الحديث بكلام جون.. عليها أن تحفظ كل جملة يقولها غرانت. همست، وفى داخلها شعور من الغش:

- «كيف تتصور الجزيرة بعد.. خمسين عاما، مثلا؟».

- «أنا لست عرافا، لكننى سأحاول لأجلك»... هز كتفيه قبل أن يجيب وقال: «أتصور تربية مزدوجة لكل طفل: تربية غربية وقبلية فى نفس الوقت لينتقى مستقبله، يوجد تآلف بين الذين يميلون للحياة الغربية والذين حافظوا على الثقافة التقليدية. هذا الانسجام يخلق

طريقة عيش جديدة ومتناسقة».

- «أظن بأنك تفضل رؤية الجزيرة تعيش نظاما مكتفيا؟».

- «نعم، لحسن الحظ لم تستثمر الجزيرة يوما بطريقة همجية، الانقلاب الثقافى لم يؤثر عليها.. فى هذه الحال، انتظر منكم تصميما مفصلا لمستقبل الجزيرة».

هل كشف غرانت خفايا المسألة الاقتصادية؟ ارتبكت تمسين.. وخفضت نظرها.. نظر اليها غرانت بابتسامة ساخرة فقالت له:

- «اريد ان توضح لى نظرتك للأمور».

- «عندما تتوضح الامور عندى، اكون قد شارفت على الثمانين من عمرى، وكل هذا لا يعد من اهتمامى».

فكرت تمسين أن عمره يناهز الثلاثين، لكن مظهره وشخصيته يعطيانه شخصية رجل ناضج.

اقتربت فرس تمسين من حصان غرانت وسمعت صهيلاً خافتًا.. نظرت تمسين نحو الشاطىء ولاحظت سفينة شراعية تتجه نحو الشرق.. كانت اشرعتها تلمع تحت وهج الشمس المائلة الى المغيب.. وسمعت فى السماء دوى طائرة تنقل السياح.

تنهدت، فسألها غرانت:

- «حنين إلى الوطن؟».

- «لا، لا، كل شيء فى غاية الجمال والروعة.. كنت اود لو تبقى الحالة كما هى».

- «انت شابة لتفكرى بالسكون.. فالهدوء يلائم الاشخاص المسنين».

توتر الجو بينهما فجأة.. حدقت عينا غرانت بعينى تمسين فأحست بشعور مخيف يسيطر عليها. نزلت عن ظهر الفرس واختفت وراءها وكأنها تريد الافلات من خطر اكيد.. رأت خاتم غرانت الماسى يلمع فى اصبعه.. احست بالخجل، واكدت لنفسها انها لن تبقى ابدا وحيدة مع هذا الرجل.

امسك بيدها وهو يقول:

- «تعالى، اريد ان اريك شيئا».

تبعته دون مقاومة، وشعرت بالقشعريرة حينما لامست اصابعه يدها.. ماذا اصابها..؟ قادها فى طريق ضيق يتجه نحو واد مشجر.

استسلمت لمساعدته رغم وجود تعثرات عديدة.. بقيا صامتين، واستعاد غرانت قناع اللامبالاة، فارتاحت وهدأت عصبيتها عندما ادركت ان كل مخاوفها وهمية وأن غرانت لا يستطيع التكهن بمشاعرها الخفية.. من المؤكد انه سيريها شيئا فى المنطقة.. وللحظة عابرة، امتلكها حنين الرجوع الى بلدتها وعائلتها.

إنها وحيدة فى بلاد جديدة تخيفها وتبعدها عن جوها ومحيطها.. فكرت فى جون باضطراب، ولم تستطع ابقاء تعابيره فى ذهنها.

- «وصلنا».

وشوشة المياه رطبت أفكارتمسين الموحشة. توقفا امام شلال يترقرق كالبلور بين صخور قديمة محاط بزهور الاوركيديا على الاشجار العالية.. فى اسفل الشلال، كانت اشعة الشمس تتلألأ فى بحيرة هادئة تؤدى الى شلال آخر يتدفق بغزارة حتى حدود البحر.

حررت يدها من قبضة غرانت وتقدمت من الماء بهدوء تام.. كان الصخر على شكل اريكة، جلست فى قعره ووضعت يديها فى الماء.

- «هل يوجد فى نيوزيلندا مناظر شبيهة بما رأيته؟»... سألها برصانة.

- «نعم»... ابتسمت حالمة ثم أضافت: «ولكن لا نملك الاوركيديا والمياه الباردة.. آه.. اسمع!.. ما هذا؟»... كان هناك صوت زقزقة عصفور شبيهة بعزف الكمان.

- «هذا النبكو، بامكانك طلب اى شيء تريدينه فيأتى فى خلال سنة».

نظرته الساخرة اعطت لملاحظته نبرة شخصية ذاتية.. بعد فترة، قال لها:

www.elromancia.com

- «وانت ؟».

- «انا، ماذا؟».

- «هل قررت الزواج من السيد جون ساندرز؟ هل تصلين الى ما يريده قلبك؟».

- «لم نقرر بعد»... قالت هامسة.

اقترب منها وانحنى باتجاهها.

- «لو كنت لى، لتزوجتك قبل ان يزعجك احد».

- «لست عبدة، ولن يزعجنى احد»... اجابت بلهجة تهكمية وقد هبت شعلة غضب فى نظراتها الزمردية، اصبح قربه منها غير محتمل، فابتعدت بعصبية. تبعها غرانت، وقبل ان تذهب بعيدا، اوقفها وجذبها اليه، لامس شعرها الحريرى فجمدت فى مكانها دون مقاومة.. فجأة ترآى لها وجه جون، فاسندت رأسها على غصن شجرة كبيرة.. تقدم منها واعتذر لتصرفه الصبيانى.

- «لا تخافى منى، أراك جميلة وكذلك جدتى.. انها تحب صحبتك فى اى وقت».

هزت رأسها كالطفل ودمعت عيناها فهدأ من روعها قائلا:

- «اخبرى جون بنزهتنا.. لن يلومنا لا يوجد اى سبب للوم».

الفصل الرابع

تحدثا طويلا فى طريق العودة، لكن تمسين بذلت الكثير من الجهد لمجاراته فقد كانت متعبة ومتوترة. وحاول غرانت تقوية ثقتها بنفسها بأحاديث بسيطة تلقائية.

قررت أن تخبر جون بكل شىء. وتساءلت كيف ستكون ردة فعله؟ انها لن تراه الا فى الغد. فسوف تستقبل السهرة كئيبة.. كانت ليز هولند تبدو جذابة فى ثوب من الحرير الليلكى، تشبه الاوركيديا التى رأتها تمسين قرب الشلال.. ان علاقة ليز بغرانت واضحة للجميع فهى لم ترفع نظرها عنه، وتحدثه بلهجة حميمة وبعبارات خاصة بينهما.. اما تمسين فقد كانت مستثناة من الحديث.

تم تعريفها بالضيوف: السيدة شابمن جدة غرانت، القائد مارش، سيد فرنسى اسمه دى لاتور، وهو صديق السيدة شابمن الذى كان غرانت يدعوه بعمى.

وخلال العشاء جلس السيد دى لاتور بجوار تمسين، خاطبها بود واضح.. ارتاحت لمغازلته الرقيقة وبدأت تضحك تدريجيا على الرغم

www.elromancia.com

من تحفظها المعتاد.

بعد العشاء، جلس دى لاتور جانبها قائلا:

- «هل تسمحين لى آنستى ان اعوضك عن غياب خطيبك..؟ هل يعمل هذا المساء؟».

- «نعم، للاسف».

- «رجال الاعمال.. يعملون دائما حتى فى وقت لهوهم!».

فى هذه اللحظة وجه دى لاتور نظرة استنكار الى غرانت.

- «وأنت يا سيدى، ألست فى ميدان رجال الاعمال؟»... سألته تمسين.

- «لا، لم اكن يوما من هؤلاء الرجال.. اننى مزارع فى نيوكاليدونيا.. املك سهولا شاسعة، واراضى خصبة للزراعة.. نهتم بتربية الماشية، وبزراعة البن للتصدير. تجارتنا ليست واسعة لكنها جيدة».

أحبت تمسين هذا الرجل لطبعه الودود المرح. وعلمت انه ارمل وان لديه ولدا واحدا يدرس فى باريس.

اما هو فقد وصل الى جزيرة فالايسى اليوم وتابع قائلا:

- «سوف اسافر الى جزر فيجى ومنها الى فرنسا، بعد قضائى

بعض الوقت فى الولايات المتحدة لتفقد المواشى».

اهتمت تمسين بهذا الحديث لكونها ابنة مزارع:

- «وهل تلك المواشى من نوع خاص؟».

- « نعم. سأحاول ارسالها الى نيوزلندا حيث الطقس يلائم هذا النوع».

- «ان والدى يربى الابقار الآتية من جيرسى».

- «اوه، لقد زرت جزيرة جيرسى.. المكان ساحر.. انه مهم لمربى المواشى، ربما يزوره والدك».

ضحكت تمسين واهتز شعرها وأخذ يلمع تحت الأضواء:

- «بعد سنوات، عندما يعتزل اعماله، قرر والدى ان يدور حول العالم مع والدتى. وتقع جيرسى فى جدول رحلاته».

- «وهل تكون هذه الرحلة اول سفر لهما؟».

- «نعم، عدا عطلة فى استراليا».

- «وانت، هل هذه اول رحلة لك بعيدا عن الوطن».

- «نعم».

- «فالايسى ساحرة، أليس كذلك؟».

www.elromancia.com

- «انها اجمل مما قيل لى عنها.. يقال الكثير عن جزر البحار الجنوبية، وقد خفت ان يخيب املى حين اراها».

- «واننى سعيد لاجلك يا آنسة.. احترسى فقط من الطقس الاستوائى.. عندما نعتاد على هذه المناطق لا نستطيع الافلات من سحرها. وهذا ما حصل لجد غرانت.. كان من الافضل له السفر الى استراليا او اوروبا للعمل هناك. لكن الجزيرة سحرته ولم يستطع مغادرتها، واصبحت جزيرته. الحياة اهدأ وأنمى والعواطف اعمق واسمى.. كل شىء هنا يأخذ طعما مختلفا».

هل كان دى لاتور يحذرها؟ ام انها اصبحت حساسة عند ذكر العواطف والمشاعر؟ نظرت الى خاتم الخطبة ليمدها بالقوة، لكنها بدت اكثر اكتئابا.

- «اه أسنسمع الموسيقى.. الانسة هولند تعشق الرقص».. قال دى لاتور.

وبمرارة فكرت تمسين ان ليز تعشق الرقص خصوصا مع غرانت.. تمنت لو انها الان فى غرفتها، فى مزرعة ابيها، قرب والدتها فيفيان.. من يمكنه ان ينصحها ويريحها اكثر من فيفيان فورسايت؟ حتى الرجل الذى يحبها بعيد عنها.

إضافة إلى كونه رفيقا متفهما، فقد اثبت السيد دى لاتور انه راقص جيد.. بعد فترة رأت تمسين نفسها ترقص مع غرانت.. جمدت

دون وعى، ثم اجبرت نفسها على التحرر من مخاوفها.

سألها غرانت اذا كان عمه قد اهتم بها بما فيه الكفاية، فاجابته:

- «نعم، انه شخص رائع».

- «هذا صحيح. يملك مجاملة التربية الفرنسية.. انه خبير بالجمال وخصوصا اسرار القلب. ويفضل جمال الشقراوات فهن يلمسن قلبه».

احمرت تمسين لطريقة غرانت الساخرة، لكنها لم تجب. بقيت صامتة تنظر الى خاتمها البراق.. تابعت تحركات غرانت آليا وكأنها لا تستطيع الافلات من قوة شخصيته.

طالت السهرة.. الى ان قرر جميع المدعوين الرجوع الى منازلهم. رافقهم غرانت فى سيارته، بينما ذهبت تمسين الى غرفتها.

اخذت حماما ساخنا، وارتدت ثياب النوم.. استلقت فى الفراش واحست بالغربة.. بدالها المنزل غريبا.. الغرفة، والجدران.. كل شىء يشير اليها بالذهاب بعيدا.

وضعت يدها على شعرها.. وتذكرت حركة جون المعتادة.. هل حبها له ضعيف لدرجة انها تفكر برجل آخر..؟

انها غير مستعدة لقبول ضعفها ويجب عليها التغلب على هذه التجربة.

تذكرت ان غرانت قد هز مشاعرها لاول مرة فى حياتها.. ان جاذبيته لاتقاوم.. كذلك ذكاؤه وقوة شخصيته اضافة الى جمال ملامحه، ومشيته المرنة.. انه لا يريد اثارة اعجابها لكنها تضعف امامه وهو يستغل ضعفها لاغوائها.. انهكتها الافكار.. فقررت ان تترك هذا المنزل بسرعة.. وبعد هذا القرار اخلدت للنوم فى الصباح بدت الاشياء اكثر وضوحا واقل ارباكا من ليلة امس، لكن عزمها على ترك المنزل بقى كما هو.. ستحزن السيدة شابمن بعض الشيء وتمسين ستقسو على قلبها.. وقد تراها فى ظروف ثانية.

انها عادة تجلس وحيدة عند تناول الافطار، لكنها اليوم رأت غرانت جالسا قبلها.. تقدمت باتجاه ظل الشمسية، فوقف بكل رزانة يقدم لها كرسيا.. تمتمت دون ان تنظر إليه:

- «صباح الخير».

تناولت فنجان قهوة وملأت فنجان غرانت.. بدا لها كالذئب وهو يرشف قهوته السوداء دون سكر.

- «هل نمت جيدا ؟».

- «نعم، شكرا»... اجابته ببرود.

- «ممتاز!».

انتابها شك، نظرت اليه، فوجدت السخرية فى عينيه.. احمرت

وجنتاها رغم انها قررت ان تكون لامبالية.

اكمل غرانت:

- «فى المرة القادمة، لا تنسى اطفاء النور. عندما رجعت فى الثالثة صباحا، لم اصدق ما رأيت فدخلت واطفأت الانوار.. هل اخذت شيئا للنوم لأنك لم تتحركى حين دخلت الغرفة».

- «بالطبع».

- «ما هو برنامجك هذا الصباح؟»... غير غرانت حديثه الساخر.

- «العمل».

- «متى سترين ساندرز؟».

- «خلال النهار».

ابتسم لها فاغتاظت.. منذ ان عرفت بموعد رجوعه الى المنزل ليلة امس، وفكرت بليز هولند.. رفضت فكرة الغيرة، وحدقت فى الليمونة الهندية الموجودة على الطاولة.

ساعدتها القهوة على التخفيف من الثقل الذى تشعر به فى حلقها، واكتفت بتناول قطعة من البسكويت. كان الطقس باردا ويلزمه بعض الوقت كى يصبح دافئا تماما حين اكتمال شروق الشمس. مر عصفور صغير يصدر زقزقته بينهما ثم اختفى. وقفت تمسين ممسكة فنجان

www.elromancia.com

القهوة واتجهت نحو الفاردينيا.

كانت تشعر بحاجة للابتعاد عن غرانت ولو للحظة.. نظرت الى الزهور البيضاء القوية الاريج ولامستها بلطف وكأن قوة جاذبة شدتها رجعت بهدوء الى كرسيها فقد ادركت الان ان مشكلتها ليست مشكلة مسافة انها لن تعرف الراحة بعد اليوم.

اخافتها هذه الفكرة وشدت من عزمها على ترك المنزل.. يجب على جون ان يبعدها عن هذا المكان حتى ولو كان بقاؤها قد يساعده فى عمله.

تأسفت باطنيا لانها ستفسد مزاج جون، لكنها كانت عازمة بعد عدة محاولات ان تلفت انتباهه:

- «هل تريدين اخبارى بشىء مهم يا عزيزتى؟ هيا اسرعى».

وبدون تفاصيل، اخبرته تمسين بسرعة الذى حدث قرب النبع، وكلما شرحت له شعرت بالارتياح انقبضت يدى جون على مقود السيارة، وبعد لحظات توقف فى ظل شجرة نخيل كبيرة على جانب الطريق نظر الى الامام، وبقى صامتا الى ان انهت تمسين كلامها ثم اقترب منها قائلا:

- «ياللفتاة المسكينة! لقد قضيت وقتا مزعجا بسببى..! كان على ان اعلمك لتفادى مثل هذه التجارب».

- «جون..».

- «لحسن الحظ انك لست لعوب الطبع يا عزيزى، و الا لكنت واجهت مشاكل اكثر خطورة».

ما هذه المصيبة.. ان جون لم يفهم شيئا.

- «لكن، جون..».

- «لا تبالى بهذه التجارب.. من الآن فصاعدا ستواجهين مشاكل من هذا النوع، لكنك ستتغلبين عليها».

- «ارجوك جون، اسمعنى».

- «لا لن اسمعك ستسمعيننى انت.. من الطبيعى ان يهتم بك اى رجل، لانك جميلة جدا..».

- «الم يعتذر عن تصرفه؟».

- «نعم.. ولكن..».

- «انه لاعب ماهر، انا اعرفه جيدا.. ومتأكد من انه لن يكرر ما فعل»... اقترب منها وابتسم مرغما وأضاف: «لا تتأثرى عزيزتى من حقك ان تغضبى.. كان يجب ان اعرفك بطبع غرانت.. هذا لا يعنى اننى لا اغار عليك، اننى غيور جدا، ولكننى رجل واتفهم تصرف الرجال.. بصراحة يا تمسين لا استطيع الدفاع عنك وخلق المشاكل

بيني وبينه».

- «وانا لا اريد هذا ايضا»... همست تمسين.

تساءلت عن قلة ارتياحها لافكار وتصرفات جون ظنت انه مشغول لدرجة تمنعه من التفكير بمشكلتها. هل يستطيع التضحية بكل شيء، حتى بخطيبته..؟ تناست هذه الفكرة ولاذت بالصمت.

- «الافضل ان تبتعدى عندما تكونا وحيدين اننى متاكد من رصانتك تجاهه.. لن يزعجك بعد اليوم لانه يحترم العادات الانكليزية».

- «فكرت بالرجوع الى الفندق»... قالت وهى تلامس شعرها.

- «لا..لا.. لن نناقش هذا الحل.. اننى بحاجة لكل كلمة تقولينها لى خلال وجودك فى منزل شابمن».

علا صوت محرك السيارة وقطب جون حاجبيه وتابع كلامه:

- «اما الان يا حبيبتى، فسوف اخبر اخصائية التراث بكل ما ستقولينه.. انها سيدة فى مقتبل العمر، حالمة الطباع، الا عندما تتحدث عن عملها.. سوف تحبينها. قال مكهال انها جيدة عموما».

اكمل جون كلامه وهو يقود السيارة باتجاه العاصمة وكأنه لم يسمع شيئا مما قالته عن غرانت.. اشتدت قبضتها على اصابعها الصغيرة ولم تقو على تهدئة افكارها.. ان جون لم يفهم شيئا.. وكل ما يهمه هو

عمله.

لم ينتبه جون لصمتها واكتفى بالاحاديث العابرة وعندما وصلا الى الفندق، اهتما بالعمل على انجاز محاضرة فارتاحت تمسين لانشغالها وعدم تفكيرها بمشكلتها الشخصية.

مر اليوم فى العمل تخللته فترة الغداء.. وقد برهنت السيدة ماغو هاندرسون اخصائية التراث والعالمة المعروفة ذات الشعر الرمادى عن تفكير عميق وواضح وعرضت تحاليل مدروسة.

عند انتهاء جلسة العمل، انزعجت تمسين عندما رأت اكوام الورق على الطاولة، وقالت السيدة هاندرسون بهدوء:

- «امامك ايام من العمل الجدى المتواصل.. رئيسك رجل عملى ومتطلب يا آنسة».

عاد جون الى القاعة وهو يبتسم وقال بسرور:

- «لقد ذهب الجميع الان. لنشرب معًا كأس مشروعنا الناجح.. انك ممتازة يا سيدة هاندرسون».

- «من الممتع العمل مع شركة مسؤولة تدعونى لخبرتى.. من المؤكد ان المحافظة على الجنس البشرى موضوع شائك ولكن من النادر وجود شركة او مؤسسة تهتم بهذه المشكلة».

قدم جون العصير واكمل حديثه وكأنه يتابع اجتماعا. امسكت

www.elromancia.com

تمسين بكأسها ورشفت منه وهى مغمضة العينين كى تخفى افكارها. شعرت بتعب قوى يمنعها من الكلام والحركة، اما جون فقد كان يناقش احاديث مختلفة ولم يستطع ايصالها الى منزل غرانت لانشغاله باجتماع مهم واكتفى بالقول:

- «الى اللقاء ثانية، يا عزيزتى».

اخذت معها رسالتين وصلتاها.. احداهما من والدتها والثانية من اختها سارة وانتظرت عودتها الى منزل غرانت لقراءتهما والتفكير بعائلتها وببلدها الحبيب.

رأتها السيدة شابمن جالسة امام ازهار النيلوفر الوردية اللون:

- «لقد اخترت مكانا هادئا لقراءة الرسائل، هل كل شىء على ما يرام؟».

- «نعم.. اختى الصغرى تتعلم لعبة الهوكى التى تستهويها كثيرا. وزوجة اخى تنتظر مولودا وهذا الخبر اسعد العائلة بأكملها».

- «هذا شىء طبيعى.. انها الحياة.. منذ متى وهما متزوجان؟».

- «منذ ثلاث سنوات».. اجابت تمسين وهى تجلس على كرسى حجرى فى ظل شجرة.

- «اوه.. نسيت ان الحياة العصرية.. لا تحبذ سرعة الانجاب».

- «لا، فهذا لا يزعج ليلى فهى تعيش مع اخى قرب مزرعة والدى. وبامكان والدتى مساعدتهما.. والدتى وزوجة اخى تتفقان كالأم وابنتها».

- «وانت، هل تحبينها؟».

- «لا يمكن لأحد الا ان يحبها. فهى امرأة شجاعة ذت طباع مرحة. عيناها تتشران الفرح».

- «واخوك، هل شعره اشقر مثل شعرك؟».

- «لا، ولكن لنا نفس العينين الخضراوين كالقطط.. انه طويل القامة، صامت.. يقول كما يقول ابى. ان النساء لا يسمحن للرجال بالكلام لكثرة ثرثرتهن».

- «نعم.. هذه الفكرة تراود الرجال.. لاشك ان امك مسرورة الآن بانتظار المولود الجديد».

- «كثيرا. كما ان سارة- اختى- تقول انها ستصبح اول عمة فى صفها».

بعد لحظات من الصمت، قالت السيدة شابمن وكأنها تحدث نفسها.

- «والدة غرانت تمنت ان ترزق بعدة اطفال.. لكن بعد ولادة غرانت، ذهبت يوما هى وغريغورى للنزهة فى البحر.. فهبت عاصفة

www.elromancia.com

وقلبت المركب رأسا على عقب.. وهكذا اصبحت وحيدة مع طفل عمره خمس سنوات.. كبر غرانت وظننت انه سيتزوج باكرا كأبيه غريغورى.. لكنه حتى اليوم لم يصادف المرأة التى تعجبه، لذلك على الانتظار اكثر لارى احفادى».

احست تمسين بشعور غريب يغمرها. فسألت الجدة:

- «لقد تزوجت فى سن مبكرة يا سيدة شابمن».

- «كنت فى السابعة عشرة اشكرك يا صغيرتى للمديح.. النساء يهرمن باكرًا فى المناطق الاستوائية اما النساء الانكليزيات فيهرمن اكثر لانهن شقراوات.. ان جزيرة فالايسى اقل اعتدالا من اية منطقة اخرى.. ولا توجد بها ملاريا او حمى صفراء والطقس لا يشبه طقس المناطس الاستوائية».

- «الطقس هنا جنة»... قالت تمسين وهى تنظر الى الاشجار المحيطة بها.

- «الجنة الوحيدة موجودة فى المحبة.. اتعلمين مايسمينى غرانت؟.. يدعونى بالرومانسية العملية.. لقد كشفت سرى الان.. اخاف من كون تسميته حقيقة.. نحن الفرنسيين رغم ممارستنا التطبيق العملى، مازلنا متمسكين بالرومانسية القديمة.. وغرانت يشبهنى، والا لكان تزوج منذ مدة من اية سيدة غنية لكن العكس صحيح انه يفتش عن امرأة معينة، لكنه يضيع وقته برفقة امرأة من

غير طباعه».

فى هذه اللحظة، احست تمسين باحمرار وجنتيها.. هل كانت السيدة شابمن تنبهها؟

- «هل تستغربين لكونى عالمة بهذه الامور»... اكملت الجدة: «انا اعرف غرانت جيدا، فهو رجل قوى وثرى الكثير من السيدات يحمن حوله.. والاهم من ذلك فهو يعلم طريقة جذب قلوب النساء اليه، تماما كجده.. الفتاة التى سيتزوجها غرانت يجب ان تكون لها ثقة عمياء، لانها لن تستطيع ان تثق باية امرأة تكون قربه».

ضحكت تمسين ضحكة خافتة وقالت:

- «انت تهكمية المزاج يا سيدتى».

- «بل واقعية.. انت يا تمسين فى غاية الجمال، وجمالك غير مألوف قامتك ممشوقة، وشعرك الناعم ذو لون نادر، وعيناك ساحرتان. فى البداية ظننت ان جمالك سببه لون وجنتيك لكننى عرفت السر الحقيقى.. فجمالك فى ضحكتك ونظراتك، لا تشغلى بالك يا صغيرتى لم ابحث هذا الامر مع احد.. لكن عجوزا مثلى تملك الكثير من الوقت للتفكير».

- «وسيدة عجوز؟ انك سيدة لا يظهر عليها مرور السنين!».

- «كأبى الهول فى مصر، اليس كذلك يا تمسين؟ لا اظن ذلك.

www.elromancia.com

تعالى ندخل الى المنزل. خلال بعض الوقت سيحضر بعض المدعوين من اصحاب غرانت الامريكيين.. وخلال وجودهم بيننا، سوف نحضر حفلة كبيرة، ولا تنس اننا سوف ندعو خطيبك الوسيم».

فكرت تمسين بالحفلة التى ستقام.. ستكون حفلة ناجحة فى هذا المكان الساحر.. وسوف تتذكرها دائما.. وعلى الاقل، سيكون جون الى جانبها.

الفصل الخامس

كان الطقس باردا فى الداخل وقد عم السكون ارجاء القصر، عدا ضحكات مدبرات المنزل التى كانت تصدر من وقت لاخر.

ثم ارتفع صوت السيدة شابمن تقول لحفيدها وهو خارج من مكتبه:

- «آه، لقد اتيت، هل مازلت مشغولا به».

- «لا، لقد انتهيت من العمل للتو.. تبدين متعبة يا آنسة فورسايت».

- «كان يومى مرهقا، مثل يومك».

- «... ورسائل عائلية»... قالت السيدة شابمن وتابعت: «اظن ان الآنسة فورسايت تحن الى وطنها وتشعر بالضجر احيانا».

نظر غرانت الى الملفات الزرقاء فى يد تمسين وهمس بنبرة من السخرية:

www.elromancia.com

- «اتساءل كيف يمكننا ارجاع البسمة الى هذا الوجه.. حسنا لن أتركك مع افكارك السوداء.. يجب ان ارى شخصا فى البلدة، هل تريدين مرافقتى فى السيارة».

- «نعم.. اسرعى يا تمسين»... استحثتها الجدة وتابعت: «فالبلدة جميلة.. وقد يعجبك الطقس هناك.. فيساعدك على قبول الفراق بينك وبين اختك سارة».

لم تستطع تمسين الرفض حتى لا تبدو غير لائقة، واكتفت بنظرة غضب وجهتها لغرانت الذى قال لها:

- «نعم، عليك مسايرة العادات التى ترفض كل الازياء العصرية».

- «عدا آلات الخياطة والنسيج»... اكملت السيدة شابمن.

ذهبت تمسين الى غرفتها، وبدلت ثوبها بتنورة واسعة من القطن المزهر وقميص اصفر ذى ياقة عريضة عالية، وارتدت صندلا من الجلد.

لكن، عندما لاقت غرانت، اخبرها انه قرر الذهاب الى البلدة الواقعة على بعد خمسمائة متر سيرا على الأقدام.

ارتجفت تمسين وهما يمران بالحديقة دون ان تعرف سبب عصبيتها.

- «اعتقد بانه لم يسبق لك ان زرت بلدة استوائية»... قال غرانت

ثم أضاف: «فى هذه البلدة العادات غريبة وصارمة، عليك بترك حذائك خارجا عندما تودين الدخول الى كوخ احد الاهالى. وعليك الجلوس فورا ووضع رجليك بطريقة متريعة. من غير اللائق هنا ان تمد الارجل.. اذا ازعجتك هذه الوضعية، اخفى رجليك جانبا تحت حصيرة من القش، وانتبهى بالا تضعى قدميك بمواجهة احد فهذا يعنى الاساءة والتحقير».

نظرت اليه وتساءلت كيف يتصرف فى هذه الحالة.. الا تعجبه طريقة الجلوس هذه..؟ وكأن غرانت قرأ ما يجول بخاطرها فقال لها:

- «اننى معتاد على كل هذه العادات.. لقد امضيت اوقاتًا طويلة فى هذه البلدة عندما كنت صبيا مشاغبا».

- «هل كنت صبيا مشاغبا؟».

- «كل الاولاد يحبون الحركة ويشعرون بالضجر.. هل يمكن ان اكون غير الاولاد الاخرين؟».

- «لا، بالطبع، اعذرنى.. هل يتوجب على اشياء اخرى؟».

قالت هذا مغيرة مجرى الحديث.. انتبه غرانت لطريقتها واكمل مازحا:

- «يقدمون لنا الفواكه والشراب. عليك الاكل والشرب. سأتحدث مع الرجل عندما تأخذك زوجته الى الجهة الداخلية من الكوخ لتريك مجوهراتها.. سوف تقدمها اليك، انتق واحدة منها».

www.elromancia.com

- «اوه، لا!».

- «نعم، نعم سوف تأخذين واحدة.. محارة جميلة، او مروحة يدوية.. اشياء كهذه. اذا رفضت الهدية فستظن بانك تحقرين مجوهراتها.. سيأتى يوم وتردين لها الهدية.. وربما ستضع يدها فى شعرك لا تخافى.. الجميع فى البلدة يعلمون ان فى منزلى فتاة جميلة شعرها كشعاع الشمس. لا تتعجبى اذا اقترب منك الاولاد».

اكملا طريقهما بين مزارع الموز المتعرجة وبين ظلمة الادغال.. وفى النهاية، ظهرت القرية المؤلفة من بعض الاكواخ. اشجار جوز الهند تنمو نحو الشاطىء حيث يلعب الاولاد.

اشار غرانت الى اكبر كوخ قائلا:

- «سنذهب الى هذا الكوخ الذى يملكه القائد».

- «ماكل هذه الاكواخ المصنوعة من القش؟».

- «هذه غرف الطبخ، تطهو النساء فى افران فخارية، يهتم الرجال بالاشغال الصعبة، والنساء بتحضير الطعام.. هل تحبين الاكل المحضر بهذه الطريقة؟».

- «نعم، كثيرا».

فى هذه اللحظة، رآهما صبى صغير فاسرع لملاقاتهما، ثم اسرع الى القائد ليعلمه، وصل غرانت وتمسين الى اسفل الهضبة حيث

استقبلهما القائد مرحبا والى جانبه تقف زوجته السمينة.

سارت الامور كما وصفها لها غرانت فى الطريق.. قدمت لهما الفواكه وعصير جوز الهند، عندما بدأت تحس بصعوبة جلستها دعتها سيدة الكوخ وتدعى ليزيالو لزيارة المطابخ.

تعلمت تمسين بعض طرق الطبخ بينما اقترب الاولاد منها يلامسون شعرها الذهبى.

- «انها تشبه رونغو، رمز القمر حين يبتسم للسماء»... قالت فتاة صغيرة.

انفعلت تمسين لفكرة الصغيرة وسذاجتها.. ابعدت سيدة المكان الاولاد عن تمسين ورافقتها الى الشاطىء حيث اقترب منها صبى صغير ليقدم لها صدفة صغيرة برتقالية اللون، ثم اندفع الى البحر وصراخه يعم المكان.

- «يالوقاحتهم»... قالت السيدة وتابعت: «آه، انظرى الى حفيدى، انه يذهب الى المدرسة وهو من افضل التلاميذ.. يود ان يصبح طبيبا فى المستقبل، لكنى اظن بانه سيصبح قائدا كجده.. لى ابنتان، واحدة تعيش فى نيوزيلندا تتعلم فن التدريس، يريد ابنائى ان تتزوج لكن زوجى قال لها: تعلمى قدر المستطاع لتحافظى على العائلة والجزيرة! وغرانت يساعدها للبقاء فى نيوزيلندا».

www.elromancia.com

- «وهل ستعود الى هنا عندما تنتهى دراستها؟».

- «بالتأكيد. يوجد هنا بضع ممرضات وعدة اساتذة وطبيب واحد.. ان جد غرانت منذ اربعين عاما يساعد هؤلاء المتخصصين. وحتى الان، نحن مدينون لغرانت بالكثير».

عادتا الى الكوخ وكان غرانت يتحدث مع بعض شبان البلدة.. توجهت ليزيالو الى صندوق خشبى واخذت منه عقدا قدمته لتمسين وهى مبتسمة.

- «خذى لك.. ذكرى منا جميعا».

سمحت تمسين للسيدة ان تلبسها العقد وهى تشكرها، حان وقت العودة فتصافح الجميع ثم رافقهما القائد حتى خارج البلدة.

اختفت اشعة الشمس وراء الهضاب فامسك غرانت بيد تمسين قائلا بهدوء:

- «سوف يحل الليل بعد بضع دقائق. كانت زيارتنا اطول مما كنت اتوقع»

احست برجفة تراودها فقال لها:

- «هل تشعرين بالبرد؟».

- «عند حلول الليل، اشعر عادة برعشة بسيطة».

تابعا طريقهما فى الظلمة نحو المنزل، لم تكن تمسين ترى غرانت بل كانت وهى تمشى تسمع صوت خطواته وصوت المياه المتدفقة بهدوء، الى ان وصلت حتى حدود الادغال بخطى ثابتة:

- «تملكين شجاعة وارادة قوية، هل يعرف ساندرز هذا؟».

- «بالتأكيد، جون يعرفنى جيدا».

فى صباح اليوم التالى وبينما كانت تمسين تعمل بجد، اقتربت منها السيدة شابمن قائلة:

- «يا عزيزتى! لقد عملت طوال النهار. تعالى نتناول الشاى معا».

لاحظت السيدة شابمن التعب فى عينى تمسين والشحوب فى وجهها بينما هما تتجهان نحو الصالة.

احبت تمسين طعم الشاى البارد لشدة حرارة الطقس المخيم على المنطقة، اخذت بضع قطع من الحلوى واتكأت على الكرسى الطويل قائلة:

- «الطقس مزعج للغاية».

- «نعم يا عزيزتى وهذا غير طبيعى فى هذه الفترة من السنة.. ربما تأتى زوبعة الريح الان.. هل لديك الكثير من الرسائل لتطبعيها؟».

- «نعم، لقد كلفنى جون بأشياء كثيرة هذا الصباح اشعر وكأن

www.elromancia.com

ذبابة التسى تسى قد لسعتنى وحلت جميع قواى».

- «لست معتادة على هذا الطقس.. لا ترهقى نفسك بالعمل. سأكلم خطيبك بهذا الموضوع».

- «للاسف.. يجب العمل لاننا لا نستطيع البقاء هنا طويلا، فوقتنا محدد».

- «عندما يعتاد المرء على طقس المناطق الاستوائية، يرتاح الجسم وكأنه اغرم بالطبيعة انتبهى فى التعلق بالجزيرة يا تمسين!».

ضحكت تمسين للفكرة وارتجفت فى الوقت نفسه:

- «فى الوقت الحاضر اود لو ارى الثلج يغطى المنطقة.. اذا بقيت اشعر بالتعب فسوف ارتاح فى غرفتى قليلا».

- «هذا تصرف حكيم وسنقضى سهرة هادئة غرانت لديه عمل فى الخارج».

تذكرت تمسين جميع السهرات برفقة السيدة شابمن.. انها سهرات هادئة ومسلية، كانت السيدة شابمن تخبرها عن اسفارها وعن المعلومات والخبرة التى حصلت عليها من تجربتها الحياتية، وخاصة الثقافات من فن وموسيقى وأدب.

- «تبدين مشغولة الفكر.. اذا كانت الانوار تزعجك، ضعى النظارة الشمسية».

- «معك حق».

وضعت تمسين نظارتها، ولاحظت وصول غرانت برفقة ليزهولند.. جلست ليز وهى تلوح بمروحة يدوية.

- «أوه ما هذه الحرارة لقد طاف بى غرانت فى الجزيرة حتى أهلكنى».

- «سأطلب الشاى من جديد»... قالت السيدة شابمن.

- «عزيزتى سيدة شابمن، اننى افضل عصيرا مثلجا»... قالت ليز.

حضرت الخادمة وبيدها صينية.. بدت ليز صغيرة ونحيلة شعرها الاسود الطويل يغطى كتفيها.. كانت ترتدى زى الجزيرة الواسع.. ولم تكن تمسين تفهم معنى وجود ليز فى الجزيرة.. انها انكليزية غنية وشابة.

- «عندما تعبت، طلبت من غرانت ان يرجعنى الى هنا..».

- «اين قوتك يا ليز»... قال غرانت وتابع: «لا ارى فيك اية مقاومة جسدية».

- «لا تقل هذا يا غرانت.. لقد مرت ايام الصلابة.. يجب ان اكون مثل الآنسة فورسايت، نافعة وجدية و.. حسنة الزينة».

- «آنسة هولند، اننى فى الوقت الحالى لا الائم وصفك ابدا»...

www.elromancia.com

اجابت تمسين.

- «انت تتزعجين ايضا من الطقس الحار.. هل تذكر يا غرانت حين كنا فى سنغافورة كم كان الطقس حارا.. انك تكرهين الاجواء الاستوائية يا آنسة فورسايت لكن بعض الاشخاص يعتادون عليها.. ما بك؟ لماذا انت شاحبة الوجه؟».

كانت تمسين تعبة وشاحبة فعلا. لاحظت نظرات غرانت الهازئة وشعرت بألم فى معدتها بينما كانت ليز ترمقه بنظرات غريبة.

- «ربما بسبب حرارة الطقس»... قالت تمسين ببطء وتركت كرسيها ووقفت مستأذنة: «ارجو المعذرة لدى بعض الاعمال التى يجب انهاؤها».

عندما وصلت الى غرفتها جلست طويلا امام الآلة الكاتبة دون اية حركة، ونظراتها غير الواضحة تحدق فى البعيد. كان الطقس سيئا وثقيلا مليئا بالحرارة والرطوبة وعندما ارادت القراءة بدأت الحروف تتراقص امام عينيها واحست بصداع قوى ينتابها.

دام هذا الاحساس فترة طويلة ففضلت الاستلقاء على فراشها فربما ذهبت اوجاعها.. استيقظت فجأة على صوت عاصفة ورعد وانتابها الخوف فى هذه اللحظة رغم ان الابواب والنوافذ اقفلت جيدا.

سمع صوت انهمار المطر الغزير ولمعان البرق يظهر فى السماء

السوداء بين لحظة واخرى. والطقس لا يزال حارا حتى الاختناق.

نظرت الى ساعة يدها.. انها حوالى الخامسة بعد الظهر.. سيأتى الليل بعد لحظات لكن دون ان يصبح اكثر ظلمة.. وقفت واقتربت من النافذة.. لم يسبق لها ان شاهدت مثل هذه العاصفة.. وتذكرت احاسيسها عندما كانت طفلة تجاه العواصف المفزعة.

سمعت دقات خفيفة على الباب، ثم ظهر وجه فالاتيرا الخادمة التى اطلت بكل هدوء:

- «هل كل شىء على ما يرام يا آنستى؟».

- «نعم، نعم.. اشكرك».

- «اتصلت بنا السيدة شابمن قبل العاصفة وقالت انها ستبقى مع السيد دى لاتور عند آل غريغ وطلبت منى ان ارسل لك تحياتها وان انصحك بالنوم باكرا».

- «شكرا»

- «اين تودين تناول العشاء؟».

- «هنا افضل».

- «بالتأكيد يا آنسة سأحضر لك وجبتك حالا»... طافت بنظرها فى الغرفة وتابعت: «لا تهتمى اذا انقطع التيار الكهربائى فلدينا مولد

خاص..».

- «وكم ستدوم العاصفة ؟».

- «ربما طوال الليل. انها تنتهى عندما يبرد الجو.. هل تريدين شيئا آخر؟».

- «لا شكرا».

- «حسنا، نادينى اذا اردت شيئا».

ان آل شابمن يعيشون برفاهية مطلقة، لكن اشغالهم كثيرة ومسؤولياتهم ضخمة.. ان تمسين تعلم مدى اهتمام السيدة شابمن بابناء الجزيرة، تهتم بتعليمهم وتهيئتهم لحياة اجتماعية جيدة.. فالعلاقة بين السكان الاصليين وعائلة شابمن من افضل ما يمكن.

من جديد، فكرت تمسين بجون حين فضل ان تبقى فى القصر كى يصل الى ما يريد.. ثم تذكرت كل لحظة مرت بوجود غرانت.. احست بالكآبة وملأت الدموع عينيها.. تذكرت لقاءهما الاول حين دعاها للرقص، ثم اللقاء قرب النبع.. والعودة على ظهر الفرس.. والحديث عن الجزيرة وزيارة الاهالى.. عرفت الان ان جون لا يكن لها اية عاطفة حقيقية.

فى هذا الضياع الفكرى، امضت تمسين وقتها وهى تجول ذهابا وايابا فى غرفتها كان المطر يتحطم على النوافذ كالافكار على رأسها.

حين دخلت الخادمة، ارتاحت تمسين، واجبرت نفسها على الاكل رغم انها لم تتذوق اى طعام اليوم.. ومن جديد بدأ الرعد يعصف من بعيد، اضاءت شرارات البرق غرفتها وازداد هطول المطر.. لقد سمعت كثيرا عن العواصف الاستوائية، لكنها لم تكن تتصور مدى قوتها فقد بدت لها خارقة للطبيعة.

لم يسبق لها ان احست بوحدتها كما تشعر الان..

تذكرت وجه ليزهولند وشعرت بالغيظ.. ثم تنهدت طويلا.. لماذا عليها ان تحزن.. انها مخطوبة لرجل تحبه.. كما ان صورة غرانت ستختفى من ذهنها حين تغادر الجزيرة.

الفصل السادس

عندما دقت الساعة العاشرة مساء تأكدت تمسين من عدم رؤية السيدة شابمن او غرانت فى هذه الليلة واكدت لها الخادمة ذلك عند دخولها:

- «ستبقى السيدة شابمن حيث هى.. انها تعرف الطقس جيدا ولن تجرؤ على الخروج.. اما السيد شابمن، فلن يرفض بقاءه بصحبة الآنسة هولند».

تأكدت تمسين من شعورها بالغيرة، لكنها سألت بكل هدوء وبساطة:

- «اين تعيش الآنسة هولند؟».

- «فى المدينة.. لا تخافى من العاصفة يا آنستى. نحن هنا معتادون على هذا».

- «كنت افكر بالقرى واهاليها».

- «لا تهتمى.. بيوتهم مصنوعة بطريقة تقوى على العواصف ولا

تدخل قطرة ماء لداخلها.. لا. لاتشغلى بالك سأحضر لك كوبا من الشوكولا، وهكذا يمكنك الجلوس فى الفراش سأجهز لك مكيف الهواء الكهربائى، وحين تنهضين فى الصباح، سترين الشمس داخل غرفتك».

ارتاحت تمسين لفكرة الشوكولا الباردة والمكيف الكهربائى.. اخذت حماما وجلست فى كرسيها تتصفح كتابا تاريخيا، احضرته من المكتبة.

مر بعض الوقت، وخفت الحرارة قليلا.. دخلت تمسين الى فراشها بينما المطر يكمل هطوله، لكنها لم تعد تسمع صوت الرعد.. ترى هل باستطاعتها النوم الآن؟

سمعت دقات على باب غرفتها، ثم دخل غرانت، وقد بدا قلقا، وشعره رطبًا.

- «ظننت انك لن ترجع فى هذه العاصفة» سألته تمسين.

- «لا... لا».

- «لم اتخيل انه بامكانك الوصول.. هل الطريق جيد؟».

- «اننى معتاد اما جدتى، فستبقى عند آل غريغ».

- «لقد اتصلت هاتفيا، لكننى كنت نائمة.. واخبرتنى فالاتيرا انها ستنام عند آل غريغ».

- «حسنا...».

- «لا تخافى، يا آنسة.. فى الصباح سيزول كل شىء حتى ذكرى العاصفة».

- «نعم.. نعم.. اننى معتادة على العواصف فى بلدنا، لكنها اقل قوة وتدوم اقل..».

- «وهل انت فى حالة جيدة؟».

- «نعم اشكرك لاهتمامك».

- « عليك بالنوم الان. وانا كذلك.. تصبحين على خير ونوما هادئا».

عندما غادر غرانت، اندست تمسين تحت الاغطية.. احست بالدفء، واستغرقت فى نوم عميق.

تلقت تمسين صباحا مكالمة هاتفية من جون.

- «كيف الحال يا عزيزتى..؟ اسمعى الآن.. نحن مدعوان عند رئيس الوزراء مساء الغد.. انه اجتماع غير رسمى».

كانت تشعر بالتعب ولم تفهم تماما معنى كلامه.

- «عزيزتى.. لقد اتفقت مع غرانت. سوف يعود بك بعد انتهاء السهرة ربما أحضر لاصطحابك او تحضرين معه.. ارتدى شيئا بسيطا.. ستكونين هناك بصفتك خطيبة وليس سكرتيرة كيف تسير امور العمل معك؟..».

- «العمل .. أوه ... جيد».

- «حسنا.. العمل هنا متاخر قليلا.. عليك بالجد، سأرسل لك كل شىء هذا الصباح.. الى اللقاء فى مساء الغد..».

لكن الخط كان قد اقفل.. فشعرت بالغيظ وبقيت فترة طويلة شاردة امام الهاتف.. ثم رأت السيد تولمان، سكرتيرغرانت، فرسمت على شفتيها ابتسامة زائفة.

- «تبدين متعبة يا آنسة. هذه الحرارة مزعجة للغاية عندما لا نعتاد عليها».

- «كانت العاصفة مخيفة امس.. لكن عندما ننظر الى هذه الحديقة ننسى العاصفة وما سببته لنا من رعب».

تقدم السيد تولمان الى النافذة حيث تقف تمسين.. كان البستانى يجمع بعض الاغصان اليابسة.. الهواء منعش ولا شىء يشير الى ما حصل من عواصف يوم امس.

- «ان الحدائق بعد المطر توحى بالجمال، الا تلاحظين؟»... قال السيد تولمان ثم تابع: «عندى الكثير من العمل مثلك يا آنسة... سيسافر السيد غرانت الى الولايات المتحدة بعد ايام.. ويجب ان انتهى من كل شىء قبل سفره».

- «وهل ستصحبه يا سيد تولمان»... قالت تمسين وهى تستشق

www.elromancia.com

عبير الزهور.

- «بالتأكيد، ولن اعرف الراحة هناك.. اربعة ايام من الاجتماعات والمحاضرات.. لكن سيد غرانت يرجع مرتاحا.. لحسن الحظ انه ينعم بصحة جيدة، فحياته العملية صعبة وعلى عاتقه الكثير من المسؤوليات».

- «لا تبدو اعماله كثيرة الصعوبة».

- «بل يعمل اكثر مما يظن معظم الناس. وهو جدى فى عمله».

- «هذا يبدو واضحا».

تركت تمسين الصالة لتباشر الاعمال العديدة التى تنتظرها وفى الممر التقت بالسيدة شابمن:

- «أوه، تمسين.. اننى آسفة، كان يجب ان اعود الى المنزل عند بدء العاصفة.. لكنهم اقنعونى بالبقاء كطفل صغير».

اعتقدت تمسين ان السيدة شابمن تنظر الى تعابيرها لكى تقرأ فيها سطورا تعنى شيئا ما.. لكن، لا.. ما هذه الافكار المجنونة.

بعد لحظات وجيزة، طلبت منها السيدة شابمن ان تتنزه معها فى الحديقة لتريا معا ما فعلت العاصفة بالزهور..

- «لقد اتصل بى غرانت ليطمئننى عن حالة الحديقة، ثم ركب الطائرة وتوجه الى المنطقة المجاورة للجزيرة».

- «الطائرة؟».

- «نعم.. عنده طائرة صغيرة يقودها بنفسه لا اخاف عليه فهو طيار ماهر».

امسكت تمسين بيد السيدة شابمن وهى تبتسم.. يا لهذه السيدة الرائعة.. انها تدير هذا القصر الكبير دون اى تعب مع انها قاربت السبعين.. اضافة الى ذلك فهى محبوبة من الجميع.

- «لحسن الحظ ان التربة بركانية»... قالت السيدة شابمن وأضافت: «لكن يجب الانتباه من تآكل الاراضى والعناية بالجزيرة».

- «ومن لا يحب الجزيرة؟».

- «فى الواقع، الجزيرة مثيرة.. لكن بعض الشباب اللاهى يشعر بالضجر كالآنسة هولند مثلا.. بالطبع، هى لا تحب البقاء هنا لولم يكن غرانت محور اهتمامها».

ابدت السيدة شابمن خلال حديثها الكثير من الواقعية وقد فهمت تمسين طبعها منذ لقائها الاول.. ارادت لو انها تستطيع التحدث معها بشأن علاقة حفيدها بالآنسة هولند..

انها اليوم قد استعادت قوتها وعزمها على العمل، كما انها ستفكر بعلاقتها مع جون بطريقة واضحة.. هل من الضرورى إكمال هذه العلاقة الغامضة، ام لا؟!

وصل خلال النهار قريب السيدة شابمن من تاهيتى مع بناته الثلاث الجميلات على الطريقة الفرنسية، ومن مزيج افريقى بولينزى وكانت الآنسات ذوات طبع متحرر ضاحكات الوجوه، بسيطات العلاقة بدأن يتحدثن عن رحلتهن فى الباخرة.. كن يشبهن الازهار الافريقية: عيون داكنة وشعر طويل متوهج السواد، واصواتهن كالموسيقى.

وصل السيد دى لاتور فى هذا الوقت فاحطن به، واستطاع بصعوبة ملحوظة ان يتخلص من سحرهن اقترب من تمسين قائلا:

- «ما رأيك يا آنسة فورسايت بعصافير الجنة هذه؟ لو ان اولئك الآنسات كن قد ذهبن الى مؤسسة فرنسية او انكليزية لكان تصرفهن اكثر رصانة».

فى هذه اللحظة سمع صدى قهقهات، وقالت سولانج الكبرى:

- «لكن يا ابن العم، اذا اردنا، بامكاننا تعليمكم الرصانة.. انظر! ايفينت، مارى».

وكمن يقوم بدور مسرحى، غنت الفتيات بحركة واحدة بطريقة رزينة فقال السيد دى لاتور:

- «لا، اننى افضل الزهور على الحركات الاوتوماتيكية المستعارة.. اخبرننى كم ستبقين بيننا؟».

- «ثلاثة ايام ثم نذهب الى باريس لشراء حاجيات زواجى.. هل

ستحضر يا ابن عمى العزيز؟».

- «بالتأكيد، إن تاهيتى جنة فى الربيع».

ثم التفت نحو تمسين واخبرها ان سولانج ستتزوج من رجل امريكى وسيعيشان فى جزر هاواى تقدمت تمسين من سولانج وتمنت لها السعادة فى حين لاحظت سولانج الخاتم فى اصبعها.

- «وانت ايضا مخطوبة يا آنسة. متى اليوم السعيد؟».

- «. لم نقرر بعد»... اجابت تمسين بارتباك ملحوظ.

- «لا نستطيع دائما الزواج عندما يحلو لنا لقد طلب ابى منى ومن بيتر الانتظار نحو سنة حتى تزداد معرفتنا ببعض».

نظرت اليها تمسين بامعان ولاحظت جمالها الساحر.. وتعابيرها التى اصبحت جدية، فتاكدت من حبها لبيتر خطيبها عندما وصل غرانت مساء تقدمت منه الجميلات الثلاث وقالت سولانج:

- «لولا حبى المجنون لخطيبى لاجبرتك على حبى وتزوجت منك، فانت من طراز الرجال الذى يستهوينى».

- «لكننى لا استهويك مثل بيتر، يا عصفورة الجزر»... قال غرانت والضحكة فى عينيه.

- «بالفعل.. احس بالفراغ دون وجود بيتر».

- «لن تشعرى بهذا الفراغ طويلا.. سنذهب جميعا الى حفل الزفاف»... قال غرانت وعيناه تنظران الى تمسين ثم تابع: «وردة بيضاء بين باقة زهور متعددة».

ثم بدأت المحادثات بخصوص عاصفة الامس وما نتج عنها بعد قليل وصلت ليزهولند مرتدية طقما حريريا زهرى اللون يظهر تناسق جسدها.

انتبهت تمسين لحركة ليزحين امسكت بيد غرانت خلال المصافحة ثم اقتربت من السيدة شابمن دون ان تعير اى انتباه لتمسين.. واستأذن غرانت ليغير ثيابه.

طلبت السيدة شابمن تحضير المأكولات المناسبة ودعت بعض الاشخاص للعشاء.

ساد السهرة جو مرح، وكان غرانت اكثر تعاطفا فى هذا الجو العائلى، وقد بدا رائعا فى بذلته الرسمية.. بعد العشاء، قالت السيدة شابمن لتمسين:

- «لقد حاولت الاتصال بالسيد ساندرز لكنه لم يكن فى الفندق، ولم اعرف كيفية دعوته للسهرة. اننى متأسفة جدا».

- «اوه، لا بأس».

قالت تمسين وهى تفكر لو ان جون كان هنا، لكانت اكثر ارتياحا.

- «انك فتاة عاقلة»... اكملت السيدة شابمن ثم تابعت: «سنذهب جميعا الى البلدة فالمدعوون يريدون الاحتفال بحضور ابن عمى وبناته».

ركب الجميع السيارات التى توقفت قبل الوادى بمئات الامتار. كان الطريق منارا بالمشاعل الصفراء. مجموعة من الناس كانت تقف فى مدخل القرية وعندما شاهدوا غرانت وضيوفه بدأوا بالغناء والرقص الفلكلورى.. تأثرت تمسين لرؤية ذلك المشهد، وبحركات النساء وهن يرقصن، وبعدد الشيوخ الواقف للترحيب.

ساد الصمت بعد فترة، فوقف رئيسهم لالقاء كلمة كما جرت العادة، ثم اخذوا المدعوين الى ساحة رملية وضعت عليها ابسطة من القش.

جلس الجميع على الارض، لكن ليز لم يعجبها ذلك فجلست وهى تتذمر، اما السيدة شابمن فجلست الى طاولة قرب فتاة قروية رائعة الجمال.. كانت الفتاة حزينة رغم اهتمام سكان القرية بها.

فسر شاب يجلس بالقرب من تمسين:

- «هذه الفتاة حزينة، لان والدها اجبرها على الزواج من شاب من خارج الجزيرة، وهى لا تريد».

- «وهل هى مجبرة على القبول به؟».

- «بالتأكيد فالزواج مهم للعائلتين من حيث العلاقات الاجتماعية. ليس بامكانها الرفض رغم حزنها».

علا الغناء الساحر، فنسيت تمسين حزن الفتاة، ومشاكلها الشخصية. وبدأ الشباب يكملون الغناء وهم يرقصون ويتمايلون على انغام التم تام، ثم تبعهن النساء والفتيات الجميلات جذب المنظر الساهرين وعلت الايادى بالتصفيق الحار.

لم تستطع تمسين ان تبقى كما هى امام المشهد الرائع، خصوصا وان جميع الفتيات اللواتى تعرفهن كن يرقصن براحة وانسجام، فتقدمت من حلبة الرقص بالدوران بين الراقصين والراقصات، ثم توجهت الى طاولة السيدة شابمن وهى منهكة.

- «تبدين متعبة»... بادرتها السيدة شابمن بالقول وتابعت: «لن اسألك اذا سررت فى هذه السهرة» .

- «كانت الحفلة رائعة، ساحرة.. اوه اننى مرهقة»... قالت وهى تبتسم.

- «سيرقصون طوال الليل»... قالت زوجة القائد ثم تابعت: «لقد كنت ارقص مثلهم، لكنى اصبحت الآن ثقيلة الوزن».

نظرت تمسين حولها فلم تر غرانت، فتساءلت اين هو.. ثم رأته يتحادث ويضحك مع رئيس القرية، قائد الجزيرة.. اقترب منه طفل صغير وعانقه، فانحنى وحمل الطفل وبدأ يلاعبه.. فى هذه اللحظة ادركت تمسين انها تحب غرانت كثيرا.. انها متأكدة من عواطفها تجاهه.. وتساءلت، ماذا سيحدث لهذا الحب الذى لا يعرف الامل..؟

الفصل السابع

استيقظت تمسين فى الصباح وهى تشعر بحركة غريبة قرب فراشها.

فتحت عينيها فرأت سولانج تنظر اليها ضاحكة. كانت تبدو نضرة الوجه، مرتاحة وكأنها لم ترقص ابدا حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل.

- «تمسين.. ان حاجبيك ورموشك طبيعية! قلت ذلك لاختى ايفيت فلم تصدقنى، لكننى كنت متأكدة.. هل تعرفين ما قالت ايفيت؟ ليس من الممكن أن يكون شعرك اشقر ذهبيا، وحاجباه قاتمين».

- «صباح الخير»... قالت تمسين وهى تتثاءب.

- «لماذا انت نائمة.. اسرعى. لقد تناول غرانت افطاره.. ولن ينتظرنا اكثر من نصف ساعة».

- «نحن ؟».

- «نعم.. لقد قال لنا امس اننا سنذهب الى مزرعة الاوركيديا على

ظهور الخيل، هل نسيت ؟.

تذكرت تمسين انها بحثت طويلا عن طريقة للافلات من هذه النزهة.

- «اعتذر يا سولانج، لدى عمل كثير».

- «لا افهم هذا .. نزهة على الخيل ستريحك»... ثم اسرعت تفتش فى خزانة الثياب، وقالت: «اسرعى باخذ الحمام وساختار لك الثياب التى سترتدينها».

لم تستطع تمسين ان تتهرب، فاسرعت بالاستحمام ثم ارتدت بنطالا من الجينز وقميصا حريريًا اختارتهما لها سولانج التى كانت لاتزال تنتظرها فى الغرفة وقد جلست امام صينية طعام الافطار.. جلست سولانج قربها تحدثها فى مواضيع عديدة وخصوصا بموضوع زواجها .. ثم سألت تمسين فجأة:

- «ما رأيك بالآنسة هولند؟».

- «.. لا اعرفها .. جيدا»... اجابت تمسين بتردد واضح».

- «انا ايضا، لكننى لا احبها، اظن بانها تفكر فى الزواج من غرانت»

شعرت تمسين وكأن سكينا تغرز فى قلبها فتظاهرت بالبرودة قائلة:

- «انهما يلائمان بعضهما».

- «هل تظنين هذا؟ ان رأيى معاكس. غرانت رجل متسلط وفخور ولن يختار امرأة فارغة كالآنسة هولند.. انها جميلة، لكن كل صديقاته جميلات».

- «سولانج، اظن بانك فضولية»... قالت تمسين وهى ترشف من قهوتها.

سكتت سولانج للحظات ثم تابعت بهدوء:

- «ان طبيعة غرانت غير خافية على احد وانت تعلمين ذلك.. ان له الكثير من الصديقات وهو رجل محبوب».

- «اصدقك.. لكن علينا ان ننهى حديثنا، النصف ساعة قد انتهت منذ لحظات».

بينما كانت تمسين تتنزه بين اشجار البلح شعرت بالحزن يغمرها.. شعرت وكأنها امضت كل حياتها هنا.. تحس وكأنها لم تحب جون ابدا، ان محبتها لغرانت صادقة وواضحة.

- «ما الذى يفرحك ويجعلك شاردة؟».

سألها غرانت وهو يقترب منها على حصانه، انقبضت اساريرها ونظرت اليه بطريقة غير مباشرة:

www.elromancia.com

- «كنت افكر بسهرة امس، وبالرقصات الجميلة..».

- «وانت ايضا، رقصت جيدا. كان فرحك ظاهرا على وجهك، أليس كذلك؟».

- «نعم، كنت سعيدة جدا».

- «وهذا الصباح يعكس فى عينيك فرحة امس».

ارخت نظراتها ورأسها وشعرت بالتوتر.

- «اريد رؤية وجهك.. انزعج دائما عندما اتحدث مع شعرك.. خاصة وان عينيك رائعتان.. وهذا ما يعطيك مظهرا ضعيفا».

ابتسمت تمسين.. ان غرانت يبدى بها، اهتماما جديا.. كم هو جذاب تحت اشعة الشمس.

- «اشكرك للملاحظة.. اما من حيث مظهرى الضعيف، فربما حث الناس على الاهتمام بى».

- «على كل حال، مظهرك الحقيقى يليق بك اكثر من المظهر الذى تبدين فيه اغلب الاحيان.. من ناحيتى، افضل الفتيات الطبيعيات.. هل اعجبتك بنات عمى؟».

- «اوه، كثيرا..».

- «كنت متأكدا من هذا الشعور».

- «هل لديك اقارب فى كل انحاء المحيط الهادى؟».

- «... انه سؤال طريف.. نعم فى كل انحاء العالم لى اقارب.. من الفرنسيين والانكليز.. لكن الآنسات الثلاث، هن من افضل الاقارب. وأحبهن الى قلبى».

- «فعلا، لديهن جاذبية كبيرة..».

- «انهن جميلات فى الوجه والطبع.. ويرنك رائعة الجمال.. لكنك تثيرين حزنهن.. اذا انك تبدين تعيسة».

- «أوه».

صمتت تمسين فجأة.. لم تنتظر ابدا هذه الملاحظة.

- «وهل انت تعيسة بالفعل؟».

- «هل أوحى بهذا الشعور؟».

- «كيف لى ان اعلم؟ ليس بامكانى تحليل تعابير عينيك الخضراوين.. لكننى استطيع يا آنسة ان اقول دون تردد، بأن شيئا اجهله كون انزعاجا فى توازنك الداخلى، ربما بعدك عن خطيبك جون.. او ربما مرورك بمرحلة عاطفية لا تستطيعين فهمها بوضوح».

لحسن حظ تمسين، توقف الحديث بمجىء سولانج... بذلت مجهودا كى تتابع ثرثرة سولانج، فقد كان تفكيرها مأخوذا بكلمات

www.elromancia.com

غرانت الاخيرة.. هل هو مدرك للعاطفة التى تكنها له؟ لا هذا مستحيل.. انها متاكدة من العكس، لانها لم تظهر يوما شعورها لغرانت.. لكن لماذا قال لها ذلك؟.. ربما كان يعرف شيئاما فهو لا يقول شيئا دون سبب!

وفجاة، انتفضت الفرس التى تمتطيها، مما دعا غرانت لان يمسك العنان بعصبية.

- «انتبهى.. انتبهى يا آنسة»... قال غرانت.

- «انتى آسفة، لم اكن مركزة..»... تمتمت تمسين بضعف.

- «فكرى بما تفعلينه»... قال بقساوة.

- «أين يجب ان نستدير لنصل الى مزرعة الاوركيديا؟»... سألت سولانج مغيرة الحديث.

- «هنا، فى الامام.. هنا».

رفع غرانت يده اليمنى مشيرا، الى الطريق العريض وقال:

- «سنتبع الطريق القديم».

- «يبدو المنظر قديما»... قالت تمسين.

- «فعلا انه قديم بجباله العالية.. هذا الطريق يؤدى الى خليج راروتو، ومنه الى اعلى جبل فى المنطقة وهناك فى البعيد معبد قديم..

سنذهب اليه يوما اذا كان الامر مهما».

- «أوه، كم احب الذهاب هناك»... قالت تمسين بسرعة.

كان الحديث عاديا تخللته فترات من الصمت، فارتاحت تمسين لذلك.

- «قالت لنا، السيدة شابمن انك ستذهبين مع غرانت عند رئيس الوزراء»... قالت سولانج فجاة. احمرت وجنتا تمسين واجابت:

- «فعلا سالاقى خطيبى هناك».

- «هل هو وسيم؟».

- «نعم، وسيم جدا».

- «أود ان اتعرف عليه».

- «هل تودين مرافقتنا؟».

- «نعم لكن أبى يريد ان نرافقه لزيارة أحد معارفه»... مالت نحو تمسين وسألتها: «اتعجب من علاقتك مع خطيبك.. انا مثلا لا استطيع العمل مع بيتر بل نفضل التحدث طوال الوقت».

اقترب غرانت منهما قائلا:

- «تمسين وجون لا يشبهان سولانج وبيتر.. علاقتهما مثل سائر الناس فى الشمال.. لذلك تمسين هى الخطيبة والسكرتيرة».

www.elromancia.com

- «أنا لا أوافقك الرأى يا غرانت...».

فاجاب غرانت مقاطعا:

- «عائلتنا متأثرة بالشمس الحارقة فى منطقة البحر الابيض المتوسط لنبتنا الفرنسى، اما عائلة الآنسة فورسايت فلها فى برودة الانكليز».

احمر وجه تمسين ولم تقل شيئا، فأكملت سولانج موجهة كلامها لغرانت:

- «تعجبنى تمسين كما هى.. ان احساسها مرهف انت تقول هذا لانها لا تهتم بك فهى تحب خطيبها جون».

- «الآنسة فورسايت لا تهتم الا برجل واحد.. خطيبها جون».

كانت لهجة غرانت ساخرة لدرجة أن سولانج نظرت اليه وعلامات الانزعاج مرسومة فى عينيها اما تمسين فقد بقيت صامتة، وارتاحت لوصول ايفيت ومارى وانتهى الحديث.

استمر الكلام عاديا بين الجميع، وعلمت تمسين من خلاله ان غرانت مسافر غدا الى الولايات المتحدة مع عمه وبناته الثلاث، شردت قليلا وهى تتذكر ما مر بها منذ وصولها الى فالايسى لاحظت ايفيت شرودها فسألتها:

- «تمسين، لماذا انت شاردة وحزينة، هل هناك ما يزعجك؟».

- «يجب على ان اكتب لاهلى؟»... اسرعت تمسين بالاجابة.

أبدت ايفيت اهتماما ، فحدثتها تمسين عن حياتها العائلية.

- «وهل هذه هى اول مرة تغادرين فيها بلدك؟ هل ترين فالايسى مختلفة كثيرا عنه؟».

وباهتمام كلى، وفزع واضح بدأت تمسين بسرد كل ما عرفته عن الجزيرة، ونظراتها تلاحق المكان الذى يجتازونه.. الى ان وصلوا الى مزرعة الاوركيديا.

عندها توقفت عن الكلام، مأخوذة بالمشهد الرائع.. تلال من ازهار الاوركيديا، الحمراء والوردية، والذهبية، والزرقاء والبنفسيجية.. كم هو مشهد رائع.

- «هذا حقل فراشات»... قالت ايفيت حالمة وأضافت: «هل يوجد مشهد مماثل فى نيوزلندا؟».

-ان جمال نيوزلندا يضاهى جمال هذه المنطقة يا ايفيت»... اجاب غرانت ثم تابع: «فى الصيف، تحيط ازهار البوهوتوكاوا الساحل بحزام احمر نارى».

- «سأزورها يوما ما»... قالت ايفيت وأردفت: «وربما فى الصيف فانا لا اتحمل البرد والصقيع».

اكمل الجميع النزهة، ثم تابعوا حتى وصلوا الى ابنية مربعة. فتقدم

www.elromancia.com

حارس المنطقة للتفسير عن المزارع المحيطة، واستمعت تمسين باهتمام واضح لتلك الايضاحات التى تدل على ثقافة واسعة، فقد كان المتحدث خريج جامعات هاواى وسنغافورة.

وعندما حان وقت العودة قدم للفتيات باقات من الزهور.. نظرت تمسين الى الباقة الحمراء التى قدمت لها ولم تضعها فى رأسها كما فعلت الفتيات الثلاث، فشعرها قصير.

اخذ غرانت الباقة من يدها ونصحها بوضعها على قميصها. تغلبت تمسين على توترها واستطاعت الابتسام، وعينا سولانج تحدقان بها.

- «اشكرك»... قالت بغيظ.

- «ارجوك، يا آنستى..»... اجاب غرانت.

وعندما وصل الجميع الى القصر، وجد غرانت رسالة موجهة من رئيس الوزراء تؤكد انتظاره لسهرة الليلة. كانت السهرة غير رسمية رغم الاهمية التى اعطيت لها.. هذا ما قاله غرانت لتمسين.. لذلك ارتدت ثوبا بسيطا رماديا مزهرا.. وضعت حول عنقها عقدا ذهبيا واكتفت بخاتم الخطبة فى يديها.

بدأت السهرة بطريقة دبلوماسية.. وقف المضيف على مدخل قصره وبجانبه زوجته يستقبلان المدعوين وقد علا صوت المقدم يعلن اسماءهم.

اقتربت تمسين وصافحتهما بوقار وقد ارتسمت ابتسامة ساحرة على وجهها ثم تبعت غرانت الى الصالة المجاورة حيث قدم لها الخادم كوبا من العصير المنعش.. بدأت تبحث عن جون لكنها لم تره بين صفوف المدعوين.. لاحظت ان الجميع يرتدون اللباس الفلكلورى للجزيرة.. فقد ارتدت النساء السارى القطنى الطويل الذى يلف الجسم من العنق حتى القدمين، اما الرجال فلباسهم يتألف من قميص وتنورة ثم السترة. شاهدت تمسين من بعيد اخصائية التراث الانسانى مارغوهاندرسون تتحدث باهتمام مع رجل صينى قصير القامة.. ولم تر أثرا لجون.

- «ربما عمل لوقت متأخر امس»... قال غرانت وهو يقترب منها.

- «هذا ممكن».

وقبل ان يكمل غرانت كلامه، ظهر جون وهو يتجه نحو تمسين.

قضت تمسين السهرة وكأنها تحضر عرضا مسرحيا مسليا.. كان جون مهتما بالمدعوين فلم تستطع التحدث معه ولو للحظة.. راقبته يتنقل بسهولة بين المدعوين.. حاولت ان تتناسى وجود غرانت قرب ليز لكنه لم يبق معها طويلا.. فقد كان عليه ان يحادث الجميع، مما اعطاها بعض الارتياح الداخلى وبمرور الوقت بدأت تمسين تشعر بالضجر.. نظرت الى جون وتفحصت تعابيره.. بدا مبتسما ومهذبا ولطيفا.

- انه كأى شخص تراه لاول مرة واحست ببعض المرارة والخجل.. هل نسيت حبها له هل ستكتفى بذكرى غرانت..؟

وجدت كرسيا فى طرف الصالة قرب مزروعات صغيرة، فجلست عليه ورأسها يؤلمها.. سمعت صوت اغنية والحان كمان.. كان الصوت حارا كجو الجزيرة..

بقيت على كرسيها وقتا طويلا مبتسمة مع الالحان احيانا، ويافكارها احيانا اخرى.. هل ستنسى ذكرى غرانت يوما ما كما نسيت معرفتها بجون؟ كم ترجو ذلك، ربما ارتاحت بعض الشيء.

وقفت فجأة وتركت مخبأها الاخضر واتجهت نحو جون.

- «اوه، عزيزتى اين كنت؟ ماذا بك؟ هل تشعرين بشيء؟».

- «لا، لا.. كنت بحاجة لبعض الراحة».

- «ربما كان هذا الجمع يؤثر عليك.. تعالى الى الصالة المجاورة.. صالة الرقص».

من المحتمل ان ينسيها الرقص ما يدور بذهنها.. لن تتكلم ستتعلم الصمت وقلة التفكير فربما يزول صراعها الفكرى.

رقصت مع العديد من الراقصين دون ان تقول ولو كلمة، او حتى تنتبه لاحد.. الى ان جاء دور غرانت امسك بيدها داعيا اياها الى حلبة الرقص.. فرقصت وهى صامتة وشعرت بالارتياح قليلا.

- «هل تريدين العودة الى البيت؟».

- «اوه.. نعم».

- «ان خطيبك مرتاح لوجودك بيننا».

- «اعلم ذلك».

نظرت حولها فرأت جون يراقص زوجة الوزير فقالت:

- «سأحضر اغراضى.. لحظة واحدة».

- «دعينا نكمل هذه الرقصة اولا».

وافقت تمسين ورقصا بطريقة هادئة وحالمة.. فى هذه اللحظة التقت عيناها بنظرات ليز هولند الثاقبة حيث قرأت العنف والكره.. فارتعدت قليلا:

- «هل تشعرين بالبرد؟»... سألها غرانت.

- «لا..».

اجابته وهى تتساءل عن سبب نظرات ليز الحاقدة.. هل تكره ليز رؤية اية امرأة تراقص غرانت؟.. توقفت الموسيقى فأعاد غرانت تمسين الى الجهة الاخرى من الصالة لوداع الجميع.

كم كانت تود الرجوع الى المنزل واللجوء الى غرفتها، وحيدة مع آلامها..

www.elromancia.com

رافقها جون الى السيارة، لكنه لم يحاول الانفراد بها، ولم تلاحظ اى اهتمام منه تجاهها.

كانت العودة هادئة، فقد بقى غرانت صامتا، يتحدث باشياء عادية بين فترة واخرى.

وفور وصولها الى قصر عائلة شابمن، توجهت تمسين الى غرفتها، مسرورة لكونها ستكون لوحدها. مر بعض الوقت، ثم سمعت دقات خفيفة على الباب، وفكرت.. انها سولانج تريد سؤالها عن السهرة.. اوه.. انها تريد النوم الان.. لاشك بان سولانج ستسألها عن جون.

وعندما فتحت الباب، اندهشت لرؤية غرانت وهو يمسك بحقيبة يديها التى نسيتها فى قاعة الاستقبال بدت الحقيبة صغيرة بين يديه.

- «أوه.. شكرا لك».

- «تبدين حزينة قليلا.. كما تقول سولانج.. ما بك يا آنسة».

- «لا شيء.. اننى مرهقة قليلا».

- «إنك على صواب.. انت تعبة عليك تعلم اشياء كثيرة قبل الزواج.. هل تعجبك شخصية جون؟».

- «اوه.. لا.. اننى اكره هذا الكلام».

- «اظن العكس تماما»... اجابها غرانت، ثم تابع بسرعة: «هل

تريدين ان احضر لك شيئا من الولايات المتحدة».

- «لا.. اشكرك، فليس من عادتى قبول الهدايا من الغرباء».

- «لماذا ترفضين كل ما اقوله لك؟ عليك بقبول الواقع.. اقوالك تعاكس افكارك».

- «اية افكار..؟».

- «تصبحين على خير.. ونوما هنيئا.. ارجو ان تتنبهى لجدتى خلال غيابى سأعود خلال اسبوع او اسبوعين، كما اننى سأمر عند عودتى بمدينة سيدنى».

- «سيدنى؟»... اهتزت تمسين لذكر مدينة سيدنى.

- «سيدنى مدينة صاخبة، بها مصانع وشركات عديدة.. كشركة سميث اندسانز مثلا..».

www.elromancia.com

الفصل الثامن

- «ماذا قال لك غرانت؟»... سألها جون صباح اليوم التالى.

- «قال انه سيزور سيدنى للتحدث مع شركة سميث اندسانز».

انزعج جون لهذا الخبر.. نظر ببطء الى تمسين ضغط على أصابعه وبدا وكأنه يريد ان يكسر شيئا:

- «ألم يقل لماذا سيسافر...؟».

- «لا..».

- «ألم يخطر لك ان تسأليه عن السبب؟».

اغتاظت تمسين لهذا الحديث.. لماذا كل هذه الاسئلة، لماذا يجبرها على مسايرة غرانت للوصول الى تسويات اخرى.. هزت رأسها قائلة:

- «لو أراد اخبارى عن سفره اكثر، لفعل».

- «بالطبع.. بالطبع انت تعرفينه جيدا.. ما بك؟ انت هنا كى تعرفى اسرار هذه القضية.. هل جننت..؟ ماذا تفعلين اذن فى منزل

عائلة شابمن؟».

- «لا استطيع ان اسأله اذا كان سيعطى العقد لشركة سميث»... اجابت بغضب.

- «بالتأكيد، لكن لو اردت معرفة ذلك.. انت بلهاء.. لو استعملت ذكاءك وجمالك، لعرفت كل شىء.. الا تعجبينه؟ بامكانك معرفة اى شىء ينقصنا فى هذه القضية».

- «جون..!».

ادركت تمسين فجأة، كم هذا الرجل بعيد وغريب عنها.. كيف احبته؟

- «لماذا تلعبين دور الساذجة.. كان بامكانك لو أردت ايصالنا الى نتيجة افضل لعقد الاتفاق معه».

أبعدت ملفات العمل ببطء وهى تفكر، كم هى بعيدة عن تفكير جون.. لا تستطيع ان تتزوج منه.. كيف تجهل طبعه لهذه الدرجة؟ خلعت الخاتم وقدمته له..

- «وانا آسفة، من الافضل ان تسترجع هذا الخاتم».

- «لا داعى للاسف».

وضع يديه فى جيبه وانحنى قليلا فوق المكتب ونظر الى تمسين

www.elromancia.com

التى قالت:

- «خذ.. انا آسفة».

- «تمسين، ماذا...؟».

- «لا شيء...».

- «اسمعى، يا عزيزتى، لا تكترثى ان لم تحبى وسائلى.. اوه لا تبالى بما قلته لك سابقا».

كادت تمسين ان تجن لكلامه فقالت ببرود:

- «تود القول انك تقبل باى تصرف منى كى تصل الى اهدافك...».

- «أود القول باننى رجل واقعى ولا اكترث لاشياء دون معنى.. انظرى تمسين انا رجل عملى واعرفك جيدا.. اعمالى تهمنى وانت تعلمين ذلك».

هل من الممكن ان يصل جون الى هذه الدرجة فى التفكير؟.. كم كان حلمها بعيدا عن الحقيقة.. ربما سيتعرف يوما ما على امرأة تعرف كيف تتصرف معه وعندها يعرف ما هو الحب.

ساد صمت طويل، ثم نظر جون اليها قائلا:

- «انا آسف يا تمسين.. لاحظت اهتمام شابمن بك منذ البداية ولم اهتم لذلك: وعندما طلبت منك السيدة العجوز البقاء فى القصر،

فهمت اشياء كثيرة.. كانت الطريقة كافية لابعادى عن الطريق.. اوه انتبهى، فليز هولند موجودة».

- «جون.. انا...».

- «انسى كل ذلك.. بعد انتهاء هذه المغامرة، انا متأكد من رجوعك الى، لانك بعيدة عن طريقة عيش عائلة شابمن».

تمنت لو انها تصفعه، لكنها لم تكن تريد بحث الموضوع اكثر.. فقد تعبت كثيرا.. وشعرت بالسعادة لانها ارجعت له الخاتم.

- «هل تريدنى سكرتيرة بعد اليوم؟»... سألته قبل ان تخرج.

- «بالتأكيد، بالتأكيد»... تعجب جون لسؤالها وتابع: «فالعمل موضوع آخر بيننا».

- «طبعا».

لم يلاحظ جون شدة توترها وارتياحها فى نفس الوقت وهو يضع الخاتم فى درج المكتب. بل اكتفى بالقول:

- «حظا سعيدا، سأتصل بك غدا، لاعطائك بعض الاخبار الجديدة».

بقيت تمسين سارحة طوال النهار.. وقد بدا المنزل فارغا بعد سفر غرانت وبنات عمه.

www.elromancia.com

بعد الغداء قالت لها السيدة شابمن.

- «اننى تعبة، سأستريح على هذا الكرسى الطويل».

نظرت اليها تمسين بقلق وهى تمسك فنجان القهوة بعصبية فتابعت السيدة شابمن:

- «لا تقلقى يا صغيرتى.. انا سيدة مسنة، ويجب ان اكون مرتاحة عندما يعود غرانت.. سيحضر معه بعض الاصحاب الامريكيين.. ستتعرفين على طبعهم..كلهم حياة وحركة. سيعجبهم طبعك الهادىء».

أمسكت بيد تمسين بحرارة وحنان.

لابد من أن السيدة شابمن قد لاحظت اختفاء الخاتم من اصبع تمسين، لكنها لم تقل شيئا، فتساءلت تمسين اذا كان يجب عليها التحدث فى هذا الموضوع، وكيف ؟

بدأت السيدة شابمن بسرد الطرائف والمواضيع القديمة، مما ساعد تمسين على نسيان قلقها.

مرت الايام، لكن السيدة شابمن لم تسأل ابدا عن الخاتم المفقود، اما تمسين فقد اكتفت بالعمل على انهاء اعمال جون الكثيرة.

اقتربت من شجرة جوز هند، وهى تتذكر الايام السابقة التى قضتها هنا.. بدأت تفكر بغرانت وبعلاقته مع سكان الجزيرة.

عليها ان تترك قصر عائلة شابمن، ان حبها لغرانت اقوى من أى

شىء آخر، لكن عليها الابتعاد.. رفرفرت فراشة كبيرة فوق رأسها فتوقفت قليلا، ثم اكملت سيرها تحت اشعة الشمس وهى تتبع الفراشة الحمراء المذهبة.

نعم، من الافضل ان تسافر.. ان تذهب بعيدا حيث لا شىء يذكرها بغرانت.

سيصل فى آخر الاسبوع وسيحوم حوله الكثيرون، لاسيما النساء الامريكيات الجميلات.. كان الطقس حارا، لكنها تابعت نزهتها بحزن.. فوجئت بصوت يناديها:

- «تبدين يائسة يا آنسة؟ هل تفتقدين شخصا ما؟».

التفتت لتواجه ليزهولند جالسة فى ظل شجرة كبيرة مرتدية ثوبا احمر لامعا وكأنها على استعداد للذهاب الى سهرة.

ارتجفت تمسين لملاحظتها لكنها لم تقل شيئا، بينما اكملت ليز:

- «انا آسفة. لقد اخفتك يا آنسة. اود ان نتحدث قليلا، هل تريدين الجلوس؟ لن يطول حديثنا انه مهم، رغم موضوعه المزعج».

فهمت تمسين ان ليز حادة فى قولها فإقتربت منها منتظرة ما ستقوله، لكنها قدمت جريدة لتمسين وهى تقول لها:

- «اقرأى.. ان الامريكيين سريعون فى اعمالهم».

نظرت تمسين الى الجريدة.. انها جريدة امريكية.. تاريخها منذ يومين».

- «لقد أشرت لك الى الخبر بإطار ملون»... تابعت ليز بطريقة مزعجة.

نظرت تمسين الى القسم المشار اليه ورأت صورة غرانت بلباس رسمي خلال سهرة حافلة، وفتاة شابة تنظر اليه وقد ارتدت ثوبا رائعا وعقدا ثمينا.

أحست بألم في معدتها، وبدأت بقراءة النص المكتوب تحت الصورة «الآنسة الرائعة سوآلين فان هامب ابنة تاجر معروف في سان فرانسيسكو رافقت السيد غرانت شابمن من فالايسى الى السهرة التي اقيمت اثر تدشين المسرح الاولمبي. ويقال ان الخاتم الموجود في اصبع سوآلين قد قدمه لها غرانت. وهو صاحب اعمال تجارية واقتصادية وبحرية معروفة في العالم.. من المنتظر اذن ان نسمع خبر خطبتهما»

سمعت زقزقة عصفور في اعلى الشجرة.. بقيت تمسين ممسكة بالجريدة وهي ترى جمال سوآلين الاخاذ.. لم تكن تريد ان تلاحظ ليز مدى تأثرها بالخبر، فقالت:

- «انها جميلة، اليس كذلك؟ لكني اتساءل عن مدى صحة الخبر يا آنسة هولند».

ارتبكت ليز وتناولت الجريدة بعنف ثم وجهت لتمسين ابتسامة ساخرة:

- «هذه الفتاة تناسب غرانت.. انها غنية وتحبه جدا، ذلك واضح من الصورة سوف يتزوجان وينجبان اطفالا.. ستلعب سوآلين دور السيدة المحترمة ثم تطلب الطلاق بعد عدة سنوات».

كانت ليز تتكلم وكأنها متأكدة من كلامها.. بدت عصبية وفي غاية التوتر.

- «كفى.. كفى يا ليز.. انك تؤلمين نفسك»... قالت تمسين وقد نسيت ألمها امام ألم ليز.

- «تتساءلين لماذا اخبرتك..»... قالت ليز ثم تابعت: «يوم امس، تحدثت في المدينة مع جون، خطيبك السابق.. وقد اخبرني عن فسخ الخطبة فهمت السبب جيدا.. انه غرانت! لقد جئت اليوم كي اوضح لك حقيقة الامور.. عليك الان ان تهيىء اغراضك وتغادري المنطقة وانا ايضا سأفعل ذلك».

- «نعم لقد قررت العودة الى نيوزلندا قريبا».

- «من الحكمة ان تقرري العودة.. يا لهذا الرجل.. لو اخبرني.. كم انا حزينة».

حزنت ليز لاجلها فسألتها:

- «هل انت تعبة يا ليز؟ بامكاني مساعدتك؟».

بذلت ليز جهدا لئلا تبكى ازاحت نظارتها ومسحت عينيها ثم انسابت الدموع على وجنتيها بهدوء:

- «كنا قريبين من بعض جدا.. كل ما كان يهمنى هو البقاء بجانبه.. لكنه قال لى انه لا يريد الزواج. كما ان السيدة شابمن لا تحبنى انها سيدة تهتم بالمظاهر».

- «لا.. السيدة شابمن طيبة ولا تبالى بالمظاهر».

- «كانت حسنة الطباع معك لانك لا تمثلين خطرا على غرانت لكونك مخطوبة.. اما الان وقد فسخت الخطبة فلن تجبرك على البقاء معها.. سوف يتزوج غرانت من سوآلين..».

- «ربما كانا يحبان بعضهما».

- «يحب.. ؟ لا اظن.. هذا النوع من الرجال لا يفهم الحب.. ارجعى الى نيوزلندا ارجعى لجون وتزوجيه. امسكت بطرف الجريدة ومزقتها قطعا صغيرة».

بعد رحيل ليز، بقيت تمسين جالسة وحدها تنظر الى غروب الشمس واختفائها وراء البحر واخذت تفكر كيف تحب رجلا يعرف امرأة اخرى ويخطب ثانية وربما تزوج من ثالثة..؟!

بعد فترة، دخلت بعناء الى المنزل الساكن، و قد التقطت بين يديها فتات الجريدة الامريكية.

الفصل التاسع

على عكس ما تصورت، نامت تمسين نوما عميقا، لكنها استيقظت صباح اليوم التالى وهى تعانى من صداع خفيف.

تناولت الافطار فى الشرفة وحدها.. اكتفت ببعض الفاكهة وفنجان من القهوة.. ثم بدأت بتنظيم رحلة عودتها.. فكل شىء فى القصر يذكرها بغرانت.. عليها أولا ان تكلم جون كى يحل رباط العمل واتفاقها على مساعدته، ثم اعلام السيدة شابمن بقرارها المفاجىء.

اتصلت بجون هاتفيا وأعلمته بما تريد:

- «كما تريدين يا تمسين.. أوشكنا على انهاء العمل وقد أحضرت سكرتيرا جديدا لمساعدتى على الآلة الكاتبة. بامكانه استلام الاعمال التى كنت تقومين بها. هل رأيت الجميلة ليز؟».

- «نعم، أتت يوم أمس، وتحدثنا معا».

- «فهمت، حسنا، متى سترحلين؟».

- «يوم السبت، غرانت سيصل يوم الأحد؟».

- «لا بأس، ربما أحتاج لمساعدتك قبل رحيلك».

أخبرت تمسين السيدة شابمن بقرار رحيلها:

- «هل أنت متأكدة أنك تريدين الرحيل، يا صغيرتي؟».

- «كنت أود البقاء. لكنني سأنهي عملي مع جون يوم السبت، يجب على الرجوع إلى بلدي...».

- «أفهم هذا...».

أنهت السيدة شابمن فنجان قهوتها وطلبت من تمسين أن تضع أسطوانة موسيقى حالمة، ثم قالت:

- «ظننت أنك ستبقين ليومين أو ثلاثة بعد انتهائك من العمل، كي ترتاحي قليلا.. لقد عملت كثيرا في الأيام الاخيرة ولم تزري الجزيرة بأكملها. فالايسي جميلة للغاية...».

- «أنا أحب العمل يا سيدة شابمن...».

- «انظري، إلى الأضواء الآتية من البحر.. انظر دائما إلى هذا المشهد ولا أشعر بالملل...».

اقتربت تمسين الى النافذة.. هي أيضا تحب هذا المشهد الذي رأته للمرة الأولى حين كان غرانت بجانبها.. غرانت.. ستبقى محبتها له شيئا سريا لن يعرف به احد..

- «الآنسة هولند، ستتركنا، هل أخبرتك بقرارها؟»... سألتها السيدة شابمن.

- «نعم، لقد أخبرتني بقرار رجوعها إلى انكلترا».

- «فكرة حسنة.. انها تضيع وقتها هنا وتشعر بالملل، رغم اهتمام غرانت بها.. انها لا تكتفي بمجتمعنا الصغير، بل تفضل صحبة العدد من الناس والمجتمعات الواسعة.. الحياة في لندن تستهويها أكثر.. حيث يمكنها الذهاب إلى المسارح، والظهور في المجلات المصورة».

فكرت تمسين بليز، وتساءلت إن كانت السيدة شابمن على علم بحب ليز لحفيدها فإنها تتكلم عنها وكأنها فتاة مدللة لا تعرف من الحياة الا مظاهرها الاجتماعية.. هل السيدة شابمن كما وصفتها ليز..؟ لم تعد تستطيع ان تفهم احدا منذ اكتشافها لعلاقة جون بها.

أرادت البكاء، وأحست بميل للاختفاء والوحدة.. لكن عليها أن تبقى قوية.. وأن تنسى كل شيء ستمضي تمسين هذا اليوم - يومها الأخير - وحيدة.. فقد قالت لها السيدة شابمن:

- «أنا مجبرة على تركك وحيدة في القصر.. يجب أن أذهب لأعمال ضرورية في أقصى الجزيرة.. هذا يزعجني، لأنه يومك الأخير بيننا...».

- «لا تهتمي، يا سيدة شابمن.. سأرتاح خلال النهار.. وسأرى

الجميع وأودعهم قبل أن أغادر الجزيرة».

- «هل اشتريت هدايا لعائلتك؟».

- «نعم».

- «هذا جيد.. أتمنى أن تمضى نهارا ممتعا.. انك لن تغادرى المنزل، أليس كذلك...».

- «لا.. لكن أظن بأننى سأتنزه...».

- «إذن سنلتقى قريبا، هذا المساء...».

بدا المكان غريبا وفارغا بعد أن غادرت السيدة شابمن.. توجهت تمسين إلى بركة السباحة لتستمتع بالقراءة تحت أشعة الشمس، لكنها لم تستطع أن تركز.. فذهبت الى غرفتها لترتب حاجياتها للسفر. دخلت الخادمة فالاتيرا لتساعدها، لكن تمسين رفضت وفضلت العمل لوحدها.

وبعد أن انتهت ذهبت إلى الحديقة، ولأول مرة لم تأبه تمسين بالأزهار الملونة، والعبير الجميل، لأن غرانت كان يحتل تفكيرها.. أحست فجأة أنها بحاجة للحركة، فاتجهت نحو الإسطبل وامتطت فرسها.. وسلكت طريقا متعرجا يؤدى الى شجرة جوز الهند، حيث ذهبت هى وغرانت فى اتجاه شلالات المياه.. ثم تذكرت أنه وعدها هى وسولانج أن يأخذهما إلى الآثار قبل أن تترك الجزيرة. قررت فى هذه

اللحظة زيارة المعبد وحتى ولو لم تستطع بلوغ القمة العالية ستكتفى بالتجول حيث الهواء العليل.

كان الطريق سهلا للفرس التى بدت مطمئنة للمكان والهواء المنعش استدارت تمسين قليلا وتعجبت لانها قطعت كل تلك المسافة.. هل بإمكانها الوصول الى حدود المعبد العالية؟.

المنظر الجميل يملأ المكان بدا الصيادون فى مياه البحر الزرقاء كنقاط متحركة، ورأت فى الأفق جزيرة قريبة من فالايسى.

وعلى طول الشاطىء الأزرق شاهدت البيوت المصنوعة من القش، وفى البعيد استطاعت أن تميز حدود المزرعة حيث يقع قصر عائلة شابمن. قطعت زهرة حمراء تشتهر بها المنطقة تأملتها قليلا ثم شبكتها فى السرج. نزلت تمسين عن ظهر الفرس ولامست جلدها الناعم.. لاحظت تعب الفرس، فعلقت الحبل بجذع شجرة ونظرت إليها وهى تنحنى لتأكل العشب الأخضر.. ثم تركت الفرس وبدأت بتسلق الطريق فربما تستطيع الوصول إلى القمة ورؤية المعبد...

وعندما وصلت القمة، لم تلاحظ أى شىء بوضوح لكثافة الشجر.. وبدأت تحس بشدة الحرارة.. فقررت النزول والعودة، وتركت الفرس تجرى إلى حيث يوجد نبع ماءصغير.. نظرت الى ساعة يدها ووجدت أن الوقت مازال باكرا، فجلست على العشب لترتاح وأسندت ظهرها إلى جذع شجرة وعيناها متوجهتان إلى البحر الممتد فى الأفق البعيد.

www.elromancia.com

فجأة، تغير الطقس، وبانت غيوم سوداء ملبدة وسمع صوت الرعد عاليا.. علا صهيل الفرس التى أسرعت باتجاه التلال لشدة خوفها..

بعد لحظات، هطل المطر بغزارة، وشعرت تمسين أن المطر قد وصل حتى عظامها.. ركضت حتى حدود الطريق القديمة وهى تصرخ طالبة النجدة.. حائرة ماذا تفعل.

هدأت العاصفة قليلا فاستعادت تمسين القليل من قواها وهدوئها وتساءلت هل ستصل الفرس الى المنطقة السكنية لاسيما وان المطر لايزال يهطل بغزارة.. عليها قبل أى شىء إيجاد ملجأ.. الامل الوحيد أمامها هو الصعود من جديد الى المعبد القديم فربما استطاعت ان تستريح بين الآثار.. لحسن الحظ أن معظم حاجياتها موجود فى الكيس البلاستيكى معها..

قضت تمسين أصعب لحظات حياتها فى تسلق الطريق المؤدى الى المعبد.. أحست بالبرد يخترق عظامها لكنها جمعت كل جهدها وقواها لتكمل مسيرتها الصعبة.. خلعت حذاءها لاجتياز المسافة المتبقية.. واخيرا، رأت هيكل المعبد فشعرت بالراحة مع أن منظره بدا رهيبا.. تقدمت أكثر حتى وصلت إلى ملجأ معقول.. واختبأت بين الأعمدة العالية فى زاوية بدت لها مناسبة.. ربما يوجد هنا حارس ما...!

لاحظت فى الوسط بقايا حطب، لم يبق لها إلا إشعال الأخشاب لكنها كانت تشعر بتعب فظيع.. كان الظلام يعطى المكان وحشة وسكونا

رهيبين.

فتحت الكيس وهى ترتعش وأخرجت علبة كبريت.. بدت العيدان مبتلة، لكنها استطاعت أخيرا إشعالها.. خلعت ثيابها المبتلة، وأحاطت جسمها بالمعطف ذى الأكمام الطويلة.. بقيت متقوقعة على نفسها دون حراك تصغى إلى صوت العاصفة.. لن يأتى احد فالعاصفة لاتزال فى أوجها.. بدأت تشعر بالدفء قليلا.. وتساءلت عن سبب وجود الاخشاب فى هذه البقعة المهجورة.. على كل حال وجود هذه الأخشاب أعطاها أملا جديدا فى الراحة والتحرر من الخوف.

تراءى لها فى احدى الزوايا تمثالان لرجل وامرأة لا تعرف ماذا يمثلان لكنها قرأت فى نظراتهما المحبة والابتسام.

أرادت النوم لثقل رأسها، لكنها رفضت الفكرة نهائيا، لأنها ستموت من البرد: إذا لم تشعل النار بين وقت وآخر.

ثم ضاع إدراكها للوقت ولم تعد تعى شيئا لشدة نعاسها.. حلمت أحلاما مزعجة، واستفاقت فجأة باكية. إنها تفكر بغرانت وهو بعيد عنها مئات الأميال.. إنها صباحا مع حلول الفجر ستترك هذا المخبأ وتعود لمنزل عائلة شابمن كى تأخذ حاجياتها للسفر إلى بلدها.. منذ الغد ستنسى جمال فالايسى وسحرها، ولقاءاتها مع غرانت، وتعود إلى منزلها وأهلها.

مر الوقت وتكاثرت العواصف والرعود لدرجة مرعبة دنت تمسين

www.elromancia.com

أكثر من النار وحاولت نسيان الخوف والبرد.

شعرت بحركة قريبة منها فى هذه الظلمة الحالكة والسكون العميق، ولاحظت بصعوبة شبح رجل يقترب منها.. كان يقطر ماء.. وقبل أن يظهر خياله واضحا، عرفت تمسين من يكون.. لقد كانت تحلم به منذ دقائق.. لا، إن غرانت مسافر فى الولايات المتحدة.. كيف وجدها غرانت هنا، فى أعالى جبال فالايسى..؟

نعم إنه غرانت، يحمل مصباحا يدويا فى إحدى يديه، وحقيبة فى اليد الأخرى.. ودون أن ينظر إليها وضع ما يحمله جانبا، وجلس على الأرض.. تذكرت وجود ثيابها قرب النار فشعرت بالخجل.. وهى قد خلعت معظمها..

- «لا تشغلى بالك يا آنسة، لقد أحضرت لك ثيابا جافة».. بدت لهجته عصبية.

- «كيف..؟ كيف وصلت إلى هنا؟».

- «كما وصلت أنت.. تسلقت الطريق القديم المتفرع من الغابة».

- «آسفة.. على سؤالى»... ردت تمسين مرتبكة.

- «عندما وصلت الفرس دونك، بدأت تحضير حصانى.. ولحسن حظك فإن وجود زهرة الا بيالو الحمراء على سرج فرسك هو ما أعلمنى بمنطقة وجودك، وإلا لما عرفت أين أبحث عنك».

بدا لها صوته مطمئنا فى هذه المنطقة الخالية.. ولبعض الوقت لم تسمع صوت الرعد.. نظرت إلى عينيه فرأتهما مليئتين بالغضب.. لم تعرف ماذا تقول.. تهورها واضح، وقد عرضها للخطر لو لم يأت غرانت.. كان عليها على الأقل أن تخبر عن مكان وجودها قبل الذهاب..

- «كيف كانت رحلتك إلى سيدنى؟ سألته فجأة».

- «لم أذهب إلى سيدنى»... أجابها بسخرية واضحة.

- «ألم تقل أنك ذاهب فى رحلة عمل إلى هناك.. أم أنك قصدت إزعاجى..؟».

- «لا، لم أرد إزعاجك، بل أردت درس انفعالات السيد جون ساندرز».

ربما علم بفسخ خطبتها من جون، ربما أخبرته السيدة شابمن.. استدارت وفتحت الحقيبة التى أحضرها غرانت، رأت فيها بنطالا وقميصا وكنزة من الصوف.. وأخرجت منها منشفة أعطتها لغرانت وتيرموس قهوة ومشط شعر.. كم هو دقيق..!

- «أحضرت لك بعض الثياب».. قال غرانت.

- «نعم.. خبرتك عظيمة يا سيد شابمن»... نظرت إليه.. كم تحبه!

ساد الصمت فترة.. وغرانت ينظر إليها متفحصا وقد زال الغضب

www.elromancia.com

من عينيه وحل محله نظرات حانية.. شعرت تمسين بالارتباك وهو يقترب منها جالسا بجانبها.. ثم وضع ذراعه حول كتفيها.

- «أود أن أقول لك إننى كنت منزعجا للغاية حين عرفت أنك مخطوبة لجون..».

- «أوه.. لا..».

أمسك غرانت بأصابعها قائلا:

- «هل تعلمين؟ أنت جميلة جدا..».. انتقلت يداه تداعبان شعرها بلطف.

- «أرجو أن تقل هذا الكلام للآنسة سوآلين فان هامب»... ضغط على يدها وقد ضاقت عيناه:

- «من أخبرك عنها..؟».

- «رأيت صورتكما معا فى الجريدة».

لم يجب، بل وقف وأخذ يجمع الأوراق اليابسة ويضعها فى النار..

- «من المؤكد بأنك جائعة الآن.. كلى شيئا، أما أنا فسأكتفى بأن تقدمى لى فنجانا من القهوة..».

- «أنا.. لست خادمة عندك..».

- «آه.. اصمتى.. كم أريد الآن ضربك كولد صغير.. إن أول ما

فعلته بعد رجوعى مباشرة من رحلة طويلة هو البحث عن فتاة بلهاء، لا تستطيع الانتباه لنفسها.. ألن ترتدى ثيابك..؟».

بقيت ساكتة وهى تخرج علبة بسكويت من الحقيبة.. ثم قدمت له فنجانا من القهوة وأخذت هى فنجانا.. كان المطر يتوقف تدريجيا.. خرج غرانت وهو يمسك بالمصباح اليدوى.. رسم به حركات واضحة فى اتجاه الوادى، اغتنمت فرصة خروجه، وأسرعت بارتداء الثياب التى أحضرها. وعندما عاد قال لها:

- «حسنا فعلت..»... قال ونظراته مثبتة عليها ثم تابع: «لقد فهموا الإشارة..».

- «من؟».

- «من؟... الذين ذهبوا للتفتيش عنك».

- «هل سيحضرون إلى هنا؟».

- «لا، يا عزيزتى، فقد اطمأنوا لوصولى عندك.. وسيرجعون إلى بيوتهم بانتظار توقف العاصفة».

ماذا قال؟ يا عزيزتى؟ كم تود البكاء فى هذه اللحظة، لكنها تمالكت نفسها وقالت بهدوء:

- «اعتذر عن كل ما سببته لك من ازعاج».

www.elromancia.com

- «وأنا أيضا.. حاولى أن تنامى الآن..».

استجابت لملاحظته فقد كانت متعبة جدا.. اما هو فقد بقى جالسا قرب النار ينظر بعمق الى فنجان القهوة.. كانت تمسين فرحة لوجودها بجانبه.. بقيت فترة طويلة دون ان تستطيع النوم، تنظر الى كل حركة يقوم بها.. الى ان طفت مشاكل مغامرتها على تفكيرها وغرقت فى النوم..

استفاقت بعد فترة.. رأت النار خفيفة لكنها تبعث الحرارة.. نظرت إلى جانبها، فرأت غرانت مستلقيا دون حركة واضعا يديه على صدره ابتسمت ثم نامت من جديد.

الفصل العاشر

«تمسين، استيقظى!».

فتحت تمسين عينيها وشاهدت غرانت ينظر إليها بإمعان..

- «سيصل الآخرون لمساعدتنا بعد دقائق.. أوه.. كم أنت جميلة عند الاستيقاظ من النوم».

- «ما.....».

- «هل تصدقين..؟ عندما رأيتك أول مرة وددت لو استطيع إرجاع خطيبك الى نيوزيلندا.. لم استطع، فدعوتك للبقاء فى القصر، كى أراك دائما.. كنت آمل أن تحبينى يوما..».

جلس إلى جوارها وعانقها.. سكتت تمسين.. أحست بانقباض فى رأسها، لم تستطع قول أى كلمة أو القيام بأية حركة.

- «كدت أن أصاب بالجنون عندما لم تعودى على ظهر الفرس.. إننى أحبك.. أحبك يا تمسين، لماذا أنت خائفة منى..؟».

www.elromancia.com

تمتمت تمسين بكلمات مبهمة ثم قالت:

- «وأنا أيضا أحبك يا غرانت...».

- «إذن، ابقى معى فى الجزيرة، كونى ما أرادت ليزهولند أن تكون...».

سمعت خطوات فى الخارج، أطلق غرانت شتيمة، ثم نهض هو وتمسين لملاقاة القادمين.

أحست تمسين وكأن عبئا قد نزل عن كاهلها عندما صرحت لغرانت بحبها له.. بدأت بإعادة الأغراض إلى الحقيبة بينما كان غرانت يفسر لها تاريخ المعبد:

- «قال أولوكا، أو بيت الحب القديم.. الأرض هى الأم، والسماء رمز الأبوة».

فى البعيد سمعت زقزقات عصافير، وصوت رجال يتحدثون.

- «لقد أحضروا الجياد...».

خرجت تمسين إلى ضوء الشمس ورأت ثلاثة رجال بانتظارهما ابتسموا لها مرحبين، وعندما خرج غرانت علت الهتافات والتحيات..

بدا طريق العودة صعبا على الرغم من انتهاء العاصفة.. لكن فالايسى بدت فى غاية الروعة هذا الصباح.

اقترب غرانت بحصانه منها وسألها دون أن ينظر إليها:

- «إنك مرهقة دون شك.. عند وصولنا إلى المنزل، عليك أخذ حمام ساخن والاستلقاء فى سريرك».

الاستلقاء، الراحة.. لقد أرادت أمس السفر إلى أهلها قبل عودته، لكن كل شىء قد تغير الآن، لماذا...

ماذا ستقول السيدة شابمن..؟

ودون أن تدرى، قالت تمسين بصوت خافت:

- «لا، لا، لن أستطيع!».

- «بل ستستطيعين وستفعلين»... بدا صوته صارما. ثم تابع: «ألم تعترفى لى بحبك.. وأنا كذلك؟ أنت لست طفلة.. لماذا أنت خائفة.. ماذا أخبرتك ليز عنى؟ لقد حدثتنى جدتى عن الحالة التى كنت بها بعد ذهاب ليز.. ماذا قالت لك تلك المرأة اللعينة؟».

- «أخبرتنى أنكما متحابان».

- «ماذا؟ لقد كذبت عليك.. خاصة عندما علمت بفسخ خطبتك من جون، أليس كذلك؟ ثم حدثتك عن سوآلين.. إذن أنت لا تعرفينى جيدا، يا تمسين.. كيف تحبيننى، دون أن تثقى بى؟..».

- «أوه، لا أعرف».

www.elromancia.com

- «يالك من طفلة مسكينة».

عندما وصلا إلى الاسطبل قفز غرانت عن حصانه، ثم حاول مساعدتها فى النزول.. فأوقفته قائلة:

- «لا، لا يا غرانت..».

- «هل تريدين أن أطلب سلم الإطفاء لانزالك عن ظهر الفرس.. على كل حال، استعدى لملاقاة الأصدقاء الذين وصلوا معى أمس.. لقد حدثتهم عنك».

- «الأصدقاء؟».

فى تلك اللحظة، لاحظ غرانت بعض الدموع تسيل من عينيها. اقترب منها ومسح الدموع عن وجنتيها.

- «لا تبكى يا تمسين.. لا أحب إلا رؤيتك سعيدة، صدقينى يا عزيزتى».

عند وصولهما إلى مدخل المنزل، رأت تمسين باقة ضخمة من الورد الأبيض تنقل فى داخل سيارة كاديلاك فخمة، وآنسة رائعة الجمال تتقدم من غرانت قائلة:

- «ها أنت رجعت إلينا يا غرانت»، ثم نظرت إلى تمسين محدقة بها..

- «تمسين، أقدم لك سوآلين، سوآلين فان هامب.. سوآلين، أقدم لك تمسين التى حدثتك عنها كثيرا».

ضحتك سوآلين قائلة:

- «إن أقل ما يمكن قوله، وهو أن الجميع يتغير عند ذكرك يا آنسة. حتى غرانت الذى وصل تعبا أمس، ذهب للبحث عنك دون أن يلتفت إلى احد هنا.. كان وجهه شاحبا، تعيسا..».

استمعت تمسين إليها، وهى تفكر: كم هى جميلة الآنسة هامب.. إنها أجمل من الصورة التى أرتها إياها ليز هولند.. لاحظت أيضا وجود خاتم باهظ الثمن فى اصبعها.. اقترب منهم شاب طويل القامة، فقدمته سوآلين قائلة:

- «ها هو لورى، خطيبى. غرانت، غرانت، انتبه.. تمسين..».

هذا ما سمعته تمسين قبل أن تذهب فى غيبوبة قصيرة..

عندما استفاقت رأت نفسها على الكرسى الطويل فى الحديقة، ووجه غرانت منحنى عليها، وقد بدا قلقا. حاولت النهوض لكنها لم تستطع، فحملها غرانت الى غرفتها ووضعها على السرير بهدوء، ثم انحنى لخلع حذائها الجلدى..

- «لا، أستطيع أن أفعل هذا لوحدى..».

لم يأبه غرانت لكلامها.. وعندما نظر الى قدميها العاريتين، لاحظ

www.elromancia.com

بعض الخطوط الحمراء.. آثار دماء..

- «أوه يا حبيبتى، ماذا حل بك..».

اقترب منها، ووضع أصابعه فى شعرها وهى ترتجف.. بدا حزينا..

- «هل تغفرين لى تصرفاتى وكلماتى الساخرة».

فى هذه اللحظة دخلت السيدة شابمن والقلق يكسو وجهها:

- «يا طفلتى العزيزة.. ماذا أصابك..»... أمسكت يدى تمسين بحنان وتابعت: «أوه غرانت، أعطيك خمس دقائق فقط.. عليك ترك تمسين لترتاح.. سأذهب لاستدعاء الطبيب..».

- «لا داعى لذلك يا سيدة شابمن»... قالت تمسين بوهن ثم تابعت: «سأصبح على ما يرام».

- «حسنا، لقد أردت الاطمئنان عليك»... ثم استدارت نحو الباب قائلة: «سأترككما الآن لتصفيا الأمور بينكما».

خرجت السيدة شابمن، أما غرانت فقد بقى ساكتا، ثم انحنى وطبع قبله على جبينها..

أحست تمسين فى تلك اللحظة كأن أملا جديدا قد ظهر فى حياتها، هل يحبها حقا، أم تتصور ذلك لأنها تحبه؟.. ظلت دون حراك وغرانت منحنى فوق جبينها..

وقال وكأنه قرأ أفكارها:

- «إننى أحبك جدا يا تمسين، هل توافقين على الزواج منى..؟».

- «وأنا أيضا أحبك يا غرانت، على الرغم مما سببته لى من آلام وشكوك».

- «لا أستطيع العيش دونك لحظة واحدة. لقد فهمت الان كل شىء.. فهمت اننى كنت ازعجك دون قصد لأننى كنت خائب الأمل.. كم أزعجتك يا حبيبتى.. لكننى سأعوضك عن كل ما سببته لك من الم..».

لم تستطع تمسين الكلام واكتفت بالنظر إلى غرانت وكأنها تعيش حلما.

تابع غرانت وهو يجذبها نحوه بقوة ويضع رأسها على صدره العريض:

- «لقد علمتنى الاسابيع الماضية ان اعرفك تماما.. وعرفت كم انت صادقة بمشاعرك».

- «ولماذا لم تخبرنى بهذا من قبل؟ لماذا تركتنى اعتقد انك تحب ليز هولند..وتود الزواج منها..».

- «لم اكن متأكدا من مشاعرك نحوى.. كما اننى كنت اغار كثيرا من جون.. لم يسبق لى ان شعرت بالغيرة على أى فتاة الا انت.. لقد

www.elromancia.com

اردت تعذيبك قليلا.. اعترف لك اننى كنت انانيا..».

- «يا لك من رجل قاس..!».

- «وهل يمكنك تحمل طباعى القاسية..؟».

اكتفت تمسين بالابتسام وهى تدرك مدى انتظار غرانت لجوابها على سؤاله.. انها مستعدة ان تتحمل كل شىء لأنها تحبه وتود العيش معه طول حياتها..».

اجابت بعد فترة صمت:

- «نعم استطيع».

- «ظننت للحظة انك ستغيرين رأيك».

- «لن أغير رأيى ابدا».

- «حتى وان حصل ذلك فسأخطفك بالقوة، وارغمك على الزواج منى يا حبيبتى».

ابتسمت تمسين من جديد، ونظرت اليه بعاطفة وحب..

كل من عرف غرانت وتمسين تمنى لهما زواجا سعيدا.. واستعدت الجزيرة بأكملها للاحتفال بهذه المناسبة.. بدا كل شىء كالحلم لتمسين. كانت تقف فى غرفتها وتنظر من النافذة.. كان المشهد امامها خياليا..

الاهالى يغنون ويرقصون بفرح على انغام الموسيقى الفلكلورية الحالمة.

- «المشهد رائع يا تمسين، أليس كذلك.. ستكونين سعيدة اننى متأكدة»... قالت السيدة شابمن وهى تقترب منها..

ارتبكت تمسين وسالت الدموع من عينيها، استدارت وعانقت السيدة شابمن بحنان.

- «كونى سعيدة يا طفلتى.. لقد اختار غرانت الفتاة المناسبة، وانت ايضا اخترت الرجل المثالى».

دخل غرانت، وعانق جدته، ثم امسك بذراع تمسين.

- «اين ستقضيان، شهر العسل؟»... سألته السيدة شابمن.

- «ليس بعيدا عن هنا.. فى الجزيرة الصغيرة المقابلة لفالايسى»... استدار نحو تمسين وتابع: «لقد بنيت منزلا فى تلك الجزيرة..إنه المنزل الوحيد هناك».

استقلا زورقا صغيرا، وتوقفا عند الجزيرة. ثم دخلا الى المنزل الواقع فى اعلى هضبة تشرف على بحيرة صافية.

- «هل انت سعيدة يا حبيبتى؟»... سألها غرانت.

- «كثيرا».

www.elromancia.com

عانقها غرانت وساعدها فى التعرف على المكان..

فى صباح اليوم التالى، عندما استيقظت تمسين، كانت الشمس عالية فى السماء، سمعت صوت غرانت يقول بلطف:

- «صباح الخير، يا سيدة شابمن».

اقترب منها، وطبع قبلة على جبينها وسألها:

- «هل انت سعيدة يا سيدة شابمن؟».

- «لماذا تسألنى وانت تعرف الجواب؟ تعلم كم انا سعيدة.. لقد تذكرت الان قول احد الشعراء:

ويأتى الحب كبريق نجمة فى الصباح.. ما رأيك؟».

- «كم أنا احبك.. يا حبيبتى».

ابتسمت تمسين لغرانت.. لم تكن تتصور حبا اكبر واعمق من حبهما..